لطائف ومعارف القرآن الكريم بين سؤال وجواب

الجزء الرابع

علي الإبراهيمي



لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

الجزء الرابع

علي الإبراهيمي



هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله



الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

مراكز التوزيع	
مكتبة الأمين العراق - كربلاء المقدسة هاتف ٣٣٥٢٦٢ / ٣٢٨٦١١	**مكتبة الأمين** إيران - قم - ص.ب: ٤٣٥٩ هاتف: ٧٧٤٢٥٩٩
مكتبة هيئة الأمين ﷺ الكويت - بنيد القار حسينية أحمد عاشور هاتف / ٢٥٤٤٢٠٢ - فاكس / ٢٥٢٩٦٤٠	**دار الأمين** لبنان - بيروت حارة حريك مقابل البنك الفرنسي قرب مستودع دار العلوم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾



الإهداء..

السلام على رسول الله محمد بن عبد الله خير خلق الله، البشير النذير والسراج المنير ومدينة العلم والتنزيل ورحمة الله وبركاته..

السلام على أهل بيته الأطهار المعصومين الأبرار علي أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام، شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي..

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً..

اللهم أدرك بنا أيامه وظهوره وقيامه، واجعلنا من أنصاره، وأقرن نصرنا بنصره، وأحينا في دولته ناعمين، وبصحبته غانمين، وبحقه قائمين، ومن السوء سالمين..

فإليكَ يا رسول الله وإلى أهل بيتك الأطهار أهدي هذا العمل المتواضع راجياً منكم القبول والنفع لـ(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)، كما وأهدي ثواب هذا العمل لأرواح جميع المؤمنين والمؤمنات، لا سيما إلى روح أخَوَيَّ (مؤيد وعادل حسين)..

وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين المعصومين..

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من جعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً..

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له: «وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص»[2].

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «من قرأ القرآن فظنَّ أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد حقَّر ما عظم الله، وعظم ما حقَّر الله»[3].

القرآن معجزة الإسلام الخالدة، إنه الكتاب السماوي الذي أرادت له المشيئة الإلهية أن يبقى محفوظاً عن كل زيادة ونقصان وتغيير، ليكون الكتاب الخالد

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٠ ح٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٧٠ ب٢ ح٧٦٥٤.

والدستور الدائم والمعين الذي لا ينضب لحياة البشرية إلى يوم القيامة، فيه الأحكام الراقية والمبادئ السامية والأخلاق الرفيعة، والعطاء الروحي الكبير، فبالإضافة إلى أنه كتاب علم وثقافة وأخلاق وحقوق وأدب وسياسة واقتصاد فهو معجزة النبي محمد ﷺ رسول الإسلام والإنسانية والرحمة، جاء بالقرآن الكريم ذي الأثر المعنوي الكبير وقد تحدى فصحاء العرب، فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثله، وستبقى البشرية عاجزة على الإتيان بسورة من مثله أو بالإتيان بدستور مثله يحمل الخير والصلاح والسعادة للجميع، فالقرآن كتاب الخير والبركة والسلم والمحبة، فلو تمسكت به البشرية لرأت الأمن والسعادة في الدنيا قبل الآخرة.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُمْ مِنْ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

السؤال الذي يظهر هل يحتاج القرآن إلى التفسير والتبيين وهو النور والكلام المبين؟

القرآن نور ينير حياة السالكين إلى الله (سبحانه وتعالى)، ولكن بما أنَّ النقيضان لا يجتمعان، لذا يحتاج المكلف لأجل التزود والتنور من نور القرآن، أن يهيئ أرضية ذلك في نفسه وذلك بتطهير قلبه من الذنوب والمعاصي عن طريق التوبة والاستغفار، ومن ثم تحليته بالحسنات والصالحات وذلك بالإيمان والعمل الصالح، الأمر الآخر الذي يحتاجه الإنسان لأجل التنور بكتاب الله تعالى هو الذهاب إليه وبذل الجهد لأجل فهمه قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى..﴾، فالقرآن منهاج حياة وكتاب علم ودراسة، وليس للتبرك والاستخارة فقط.

فياليت حوزاتنا العلمية تهتم بدراسة القرآن الكريم كما تهتم بدراسة العلوم

---

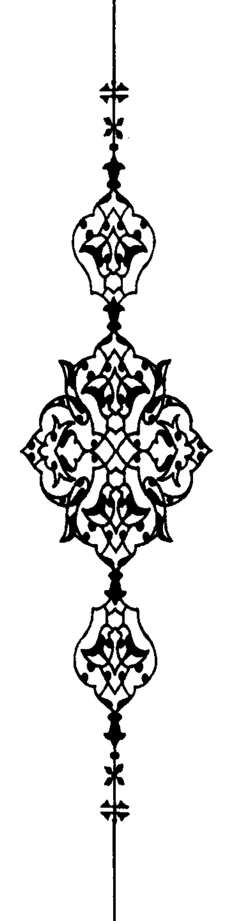
(١) المائدة: ١٧.

الأخرى.

فما علينا لكي نفهم كتاب الله تعالى إلا أن نتجه نحوه ونبذل شيئاً من الجهد لكي ندرك بعض مفاهيمه ونعيش أجواءه، فإنه البحر الكريم الذي يستقبل الجميع، ويعطيهم ما يحتاجونه وما بوسعهم أن يأخذوه، ويجد الغائص في هذا البحر الجميل، الجواهر واللئالئ والدرر، ما يعيش بها غنياً وسعيداً إلى آخر حياته، ثم إن إطالة النظر إلى آفاقه يمنح العيون قوة ويزيل من أمامها الحجب والأستار.

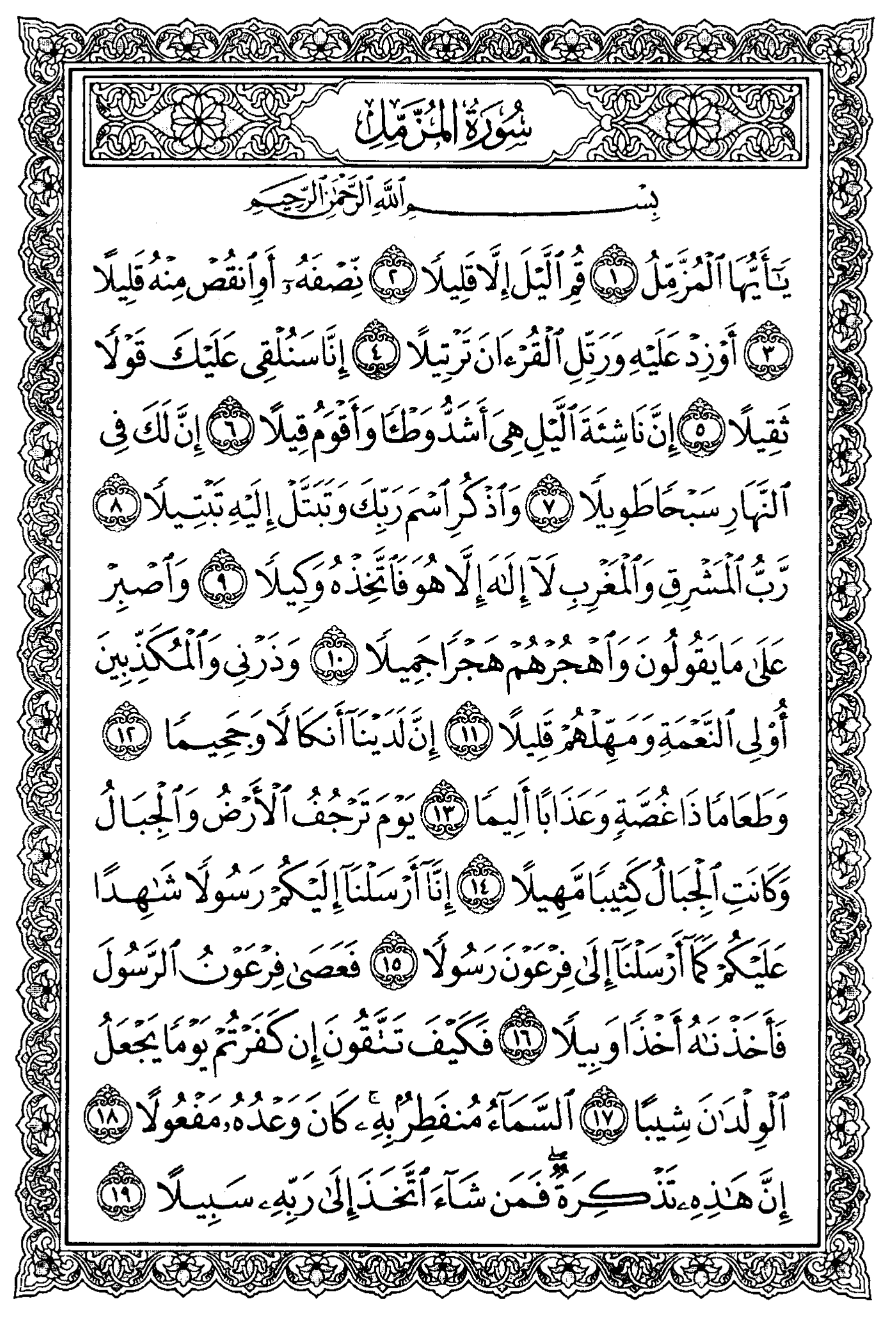
علي الإبراهيمي
١٢ جمادي الأول ١٤٢٥هجرية
دمشق - بجوار السيدة زينب الكبرى
(عليها وعلى آبائها أفضل الصلاة والسلام)

(١) الشعراء: ٨٨.



سورة المزمل

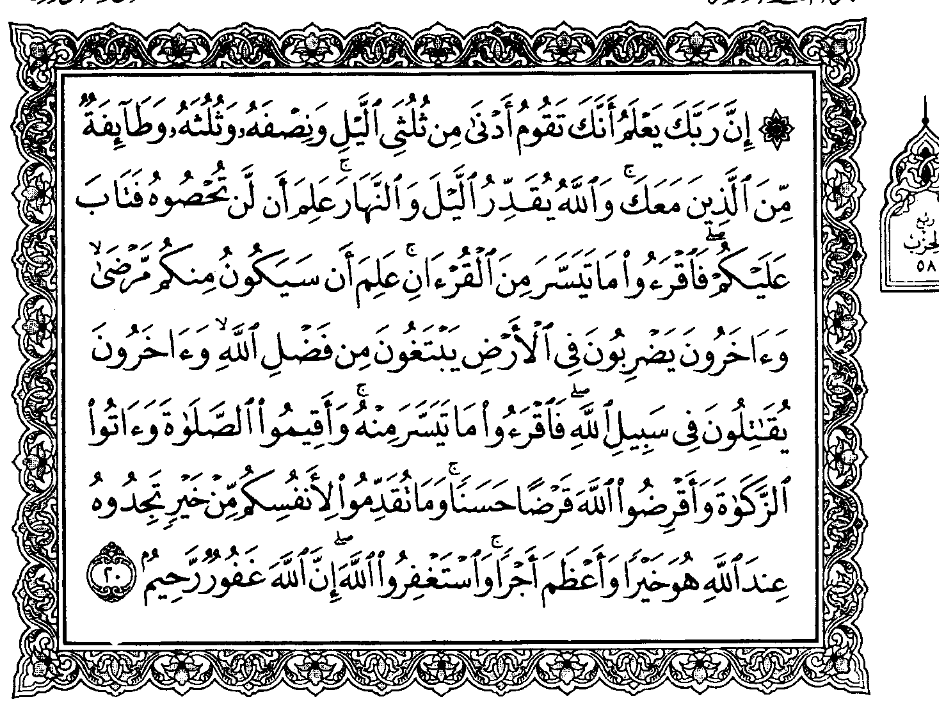




سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾



فضلها:

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سورة المزمّل في العشاء الآخرة في آخر الليل، كان له الليل والنهار شاهدين مع سورة المزمّل، وأحياه الله حياةً طيبةً، وأماته ميتة طيبة»[1].

مفردات السورة:

المزمل: أصله المتزمل، اسم فاعل من التزمل بمعنى التلفّف بالثوب للنوم ونحوه.

الترتيل: ترتيل القرآن تلاوته بتبيين حروفه على تواليها.

القرآن: مصدر، فعله قرأ، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٤٤٥.

الترتيل، وسمي الكتاب الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ بالقرآن وذلك لكونه ضمّ خلاصة وثمرة جميع الكتب السماوية المنزلة.

الناشئة: الحادثة.

الوطأ: الثبات، ووطؤ الأرض وضع القدم عليها.

السبح: المشي السريع في الماء.

التبتل: الانقطاع.

الأنكال: القيود.

الغصة: تردد اللقمة في الحلق.

الرجف: الاضطراب الشديد.

الكثيب: الرمل المجتمع الكثير.

مهيلاً: المهيل الساقط إذا حُرّك أسفله تساقط أعلاه.

وبيلاً: شديداً ثقيلاً.

موضوع السورة:

لمّا بُعث النبي محمد ﷺ رسولاً للعالمين في ذلك المجتمع البعيد عن المدنية والحضارة، ويعيش فيه الجهل والتخلف بمختلف صوره، أُمرَ ﷺ بالتهيؤ والاستعداد الكامل لتلقي الوحي، ثم لإبلاغه، وهذا لا يتم إلا مع قيام الليل والتوجه فيه إلى الله تعالى بين صلاة ودعاء واستغفار وتفكير، والقيام ليلاً أشد تأثيراً في تربية النفس وإعدادها للمهمات الصعبة، فدعته السورة المباركة إلى قيام الليل وترتيل القرآن ثم تحمل الأذى بالصبر على ما يقولون فيه إنه شاعر أو كاهن أو مجنون، ويهجرهم هجراً جميلاً.

وفي السورة وعيد وإنذار للكفار، وتعميم الحكم لسائر المؤمنين، وفي آخرها تخفيف ما للنبي ﷺ وللمؤمنين، وهي مكية ومن عتائق السور النازلة في أول البعثة

حتى قيل إنها ثانية أو ثالثة السور النازلة .

الأسئلة والأجوبة:

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ❖ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ .

(س) متى نزلت السورة؟

(ج) الآيات الأولى من السورة المباركة تشير إلى احتمال نزولها في بداية الدعوة الإسلامية المباركة، وبقية الآيات نزلت في فترات أخرى متباعدة .

(س) لماذا وصف الله تعالى نبيه الأكرم ﷺ بـ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ ولم يقل يا أيها النبي أو يا أيها الرسول مثلاً، أوليس هذا الوصف أجمل وأكمل؟

(ج) إن كلمة المزمل تحتمل معنيين، الأول: ما أشار إليه البعض وهو المحتمل أو المتصدي لأعباء النبوة، جاء في المنجد بأن المزمل هو الحمل فالمتصدي لمسؤولية التغيير أحوج ما يكون إلى قيام الليل .

الثاني: الذي كفّ عليه ثياباً أو غطاءاً على وجه وصف حال النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه بهذه الآيات، وفيه دلالة على قرب الرسول ﷺ من الله تعالى، حيث يخاطبه بهذا التعبير الذي يجري بين الأحبة. ويمكن أن يشمل هذا الخطاب كلّ من يتزمّل للنوم انطلاقاً من قاعدة: «إياك أعني واسمعي يا جارة» حيث نزل القرآن به[١] .

(س) هل يمكن قبول الرواية التي تقول بأن النبي الأكرم ﷺ تأثر بكلام الجاهليين فذهب وتزمّل للنوم، أو أنه ﷺ تزمل خوفاً حيث ذهب إلى خديجة عليها السلام قائلاً: «زملوني زملوني . . دثروني دثروني» بعدما نزل عليه جبرائيل بالوحي؟

---

(١) تفسير من هدى القرآن: سورة المزمل الآية .

(ج) الروايات التي تقلل من شأن وعظمة النبي الأكرم محمد ﷺ والتي تخالف صريح القرآن الكريم الذي يمجد بعظمة النبي ﷺ لا يمكن الأخذ بها والالتفات إليها أبداً، كالرواية التي تقول بأنه تأثير بكلام الجاهليين، لهذا تزمل ونام دون أن يبالي بأمر الرسالة، فمثل هذا الكلام لا يليق بمقام النبي الأعظم ﷺ الذي كان يهلك نفسه لأجل أداء الرسالة الإسلامية السامية، حتى قال تعالى: ﴿**طه ❖ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ❖ إلاّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾[1].

(س) لماذا ابتدأت السورة بأمر النبي ﷺ بقيام الليل، ثم أولم يقم من قبل هذا؟

(ج) بما أن الليل هو ساعة لسكون الإنسان وهدوءه، فيه يتوقف عن الحركة والعمل ويتجه نحو الاسترخاء والنوم، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ❖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً**﴾[2]، لذا فهو الوقت المناسب للتوجه إلى الله تبارك وتعالى وهذا ما أمر به النبي الأكرم محمد ﷺ، وكان يجد فيه لذته وزاده المفضل على كل ما في الدنيا، لهذا ينقل التاريخ أنه ﷺ كان يذهب قبل بعثته إلى غار حراء لأجل التعبد ليل نهار، وإنما جاء التأكيد هنا بقيام الليل، وذلك تنبيهاً له للاستعداد الكامل لأجل تلقي المسؤولية العظمى التي سيكلّف بها، قال تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ ولا يمكن حمل هذه المسؤولية إلا مع قيام الليل وتربية النفس من خلاله.

(س) ما هي الأمور التي يجب على النبي ﷺ أدائها من خلال قيامه ليلاً، وهل أنه كلّف بصلاة الليل فقط؟

(ج) إنه تعالى قال: (قم الليل) ولم يقل صلّ الليل. فعبارة قم الليل تعني النهوض في مقابل النوم، وليس الوقوف للصلاة فقط، بل لإحياء الليل بين صلاة

---

(١) طه: ١-٣.

(٢) النبأ: ١١-١٢.

ودعاء واستغفار وتفكير، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ❖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾.

(س) لماذا هذا التخيير الذي يظهر فيه تحيير؟

(ج) لعله للأسباب التالية:

١- إن الفرض المحدد والثابت أمر شاقٌ ومستحيل في بعض الظروف حتى للرسول والمعصومين عليهم السلام الذين يجب عليهم قيام الليل وجوباً عينياً وذلك لأنهم بشر ويمكن لهم أن يتعرضوا للظروف الحياتية القاسية كالمرض والحرب، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «خيّر الله نبيه صلى الله عليه وآله في هذه الساعات القيام بالليل، وجعله موكولاً إلى رأيه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وطائفةٌ من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير، وشق عليهم ذلك، فكان الرجل منهم لا يدري كم صلى، وكم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب حتى خفف الله عنهم بآخر السورة»[٢].

٢- جعل باب التكليف مفتوحاً أمام الإنسان، يعطيه الخيار الكامل في اجتياز الامتحان الإلهي واختيار الطريق إلى حياته الآخرة.

٣- قال الفقهاء إن الاختلاف في النص الإلهي بين الضيق والسعة والكثرة والقلة، يدلّ على الاستحباب لغير المعصوم عليه السلام، وإن الفرض الواجب يكون محدوداً.

(س) ما المقصود من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾؟

(ج) ١- قيل إن الضمير في (نصفه) عائد إلى الليل فيكون المعنى: قم كلّ الليل

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٥.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٧٧.

إلا قليلاً، أو نصفه، أو أقل من النصف بالإنقاص منه قليلاً، أو أكثر من النصف بالزيادة عليه.

٢- ويمكن القول بأن المقصود من الليل في قوله: (قم الليل) هو الجنس، وإن المستثنى بعضه، فيكون المعنى: قم كل الليالي إلا قليلها وبعضها وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة النوم ونحوه..

عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى (الآية) قال: «أمره الله أن يصلي كل ليلة إلاّ أن تأتي عليه ليلة من الليالي لا يصلي فيها شيئاً»[1].

❁ قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

(س) ما هو الترتيل ولماذا أمر النبي صلى الله عليه وآله به عند قراءة القرآن الكريم؟

(ج) الترتيل هو التنسيق والتنظيم، والرتل في المصطلح العسكري هو صف الجنود أو الآليات.

عن عبد الله بن سليمان قال سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل (الآية) قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينه بياناً، ولا تهذّه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «هو أن تتمكث فيه، وتحسّن به صوتك»[3].

(س) ما هو الهدف الأكبر والأساسي من الأمر بقيام الليل بقوله تعالى: ﴿يَا

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٠ ص٧١ عن كتاب التهذيب.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٤٤٦.

(٣) المصدر نفسه.

أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ❁ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾؟

(ج) إن الهدف الأكبر من وراء الأمر بقيام الليل ليس لأجل صلاة الليل فقط، إذ إنه لا يستغرق نصف الليل ولا ثلثيه بل وحتى ثلثه، بل الهدف أوسع منه، وهو لأجل قراءة القرآن والاستغفار والتفكير الصالح في وقت سكنت فيه الأصوات ونامت فيه العيون، ولا يجد المؤمن أحداً يتكلم معه إلا الله تبارك وتعالى[1].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾.

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية جاءت كتعليل للآيات التي سبقتها، فإنه تعالى لمّا أمر بقيام الليل، وذلك لأجل الاستعداد لتلقي مسؤولية حمل القول الثقيل بكل قدرة واستطاعة.

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء»، وبما أن القرآن هو الحق ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ وقد نزل من الحق، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[2]، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾[3].

لذا فالحق النازل ليس بهين وسهل للذي في قلبه مرض بل عليه شقاء وعذاب ﴿وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ بينا هو مريء وشفاء ورحمة لمن فتح الله قلبه إليه

---

(١) من هدى القرآن: الآية.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) الحج: ٦.

وسعى في النيل من عطاءه الوافر قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُمْ مِنْ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

❁ **قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً﴾.**

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً﴾ ولم يقل العبادة ليلاً أو الصلاة أو غير ذلك؟

(ج) إن معنى الناشئة هي الحادثة، ويراد منها ساعات الليل الحادثة بالتوالي أو أنها تخص ساعات الليل الأخيرة أو السحر، والعبادة فيها أوقع تأثيراً في النفس من غيرها، حيث يبتعد الإنسان عن ساعات الاضطراب والعمل ويتجه نحو ساعات السكون والهدوء.

عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية قال: «قيامه عن فراشه لا يريد إلا الله»[2].

(س) لماذا ناشئة الليل أفضل من ناشئة النهار؟

(ج) إن ساعات الليل أكثر ثباتاً وفعاليةً في النفس من ساعات النهار وذلك لأن الإنسان يتقلب ويضطرب في النهار لأجل الحصول على رزقه ومعاشه، بينما يتوقف عن ذلك بشكل كامل مع حلول الظلام، وبما أن النفس تحن عادةً إلى الاسترخاء والراحة والفرار من التعب بالإضافة إلى وساوس الشيطان الرجيم التي تدعوا الإنسان إلى نسيان الله تعالى، لذا فإن مواجهة هذه التحديات والانطلاق منها إلى

---

(١) المائدة: ١٦.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٤٤٨ ح١٦.

الله عز وجل تبعث السموّ والكمال في النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلاّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(١).

❁ قال تعالى: ﴿وأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

(س) لماذا يهتدي الإنسان إلى القول الأقوم ليلاً بينما لم يحصل على ذلك في النهار؟

(ج) لأن الليل يصحب معه الهدوء والسكون والابتعاد عن المشاغل المادية وهذا ما يدعوا الإنسان إلى الانطلاق إلى العالم الآخر، بينما يفتقد ذلك في النهار.

قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢).

وعندما يمزج الإنسان صلاته ليلاً بقراءة القرآن الكريم فإنه سوف يهتدي للقول الأقوم كما وعد بذلك رب العزة بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ❖ وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(٣).

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾.

(س) أين سيسبح النبي ﷺ في النهار، وهل هناك بحر أو نهر ليدخل فيه، وما وجه اتصال الآية بما سبق؟

---

(١) البقرة: ٤٥.

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) الإسراء: ٩-١٠.

(ج) إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ جاء تعليلاً لما سبق من الآيات التي أمرت النبي ﷺ بقيام الليل، حيث تقول له إنك بعدما تربي نفسك تربية صالحة سوف تواجه بحراً عظيماً متلاطم الأمواج يغرق فيه الكثير وما عليك إلا أن تنجيهم وتنقذهم من الغرق والعذاب، إنها مهمتك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

وقرآنك هو سفينة النجاة الذي يجب أن ترشد الناس إليه، وفي الآية درسٌ وخطاب للذي يريد السباحة الصالحة في بحر المجتمع، تقول له عليك أولاً أن تتزود ليلاً من خلال قيام ساعات الليل تتصل فيها بالله عز وجل وتقرأ شيئاً من كتابه المنير.

(س) لماذا وصفت الآية جهاد وسعي النبي الأكرم محمد ﷺ بالسبح الطويل؟

(ج) السبح تعني في الأصل الحركة والذهاب والإياب، وتطلق كلمة السباحة على دخول الماء وذلك لما فيها من الحركة المستمرّة.

الآية وصفت عمل وجهاد النبي ﷺ بالسبح الطويل لما يرى من التعب الكثير لأجل أداء مهمته الرسالية الكبرى ولهذا قال ﷺ: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

۞ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

(س) لماذا قالت الآية المباركة ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ولم تقل واذكر اسم الله عز وجل؟

(ج) إن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الظاهر، الذي يدل على ذاته المقدسة، والمخلوق عاجز عن معرفة ذاته، فجعل (تعالى) أسماءه ذرائعاً ووسائلاً للعباد لأجل الوصول إليه، كما ورد عن الإمام عليه السلام: «فكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته»، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ولم يقل أسماء ربك؟

(ج) إن ذكر الاسم بشكل مفرد فيه دلالة على الإطلاق، فيكون المجال مفتوحاً أمام العبد في استخدام أي اسم شاء من أسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾(١).

(س) كيف يتمكن الإنسان تحقيق ذكر الله تعالى بقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾؟

(ج) هناك مراحل وخطوات لابدّ من اتباعها لأجل تحقيق ذلك:

١- ذكر الله تبارك وتعالى على اللسان، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في دعائه: «.. واجعل لساني بذكرك لهجاً وقلبي بحبك متيماً»(٢).

٢- الذكر القلبي لذاته المقدسة، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾(٣).

٣- ذكر الله عز وجل الكثير من خلال النظر إلى آلاءه وأسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾(٤). وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ❖ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٥).

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) مفاتيح الجنان: دعاء كميل.

(٣) الأعراف: ٢٠٥.

(٤) الأحزاب: ٤١.

(٥) آل عمران: ١٩١-١٩٢.

❁ قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾.

(س) لماذا جاء الأمر بالتبتل بعد الأمر بقيام الليل وترتيل القرآن وذكر اسمه تعالى؟

(ج) يظهر أن الآية جاءت لتبين الهدف الأساسي والغاية المطلوبة من وراء الأمر بقيام الليل وتلاوة القرآن وذكر أسماء الله تعالى، الهدف كما تذكره الآية المباركة هو الإخلاص الكامل لله تعالى بالتوجه القلبي التام إليه من خلال إتيان الأعمال لوجهه المبارك والانقطاع عن غيره.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن التبتل رفع اليد إلى الله حال الصلاة» والواضح أن هذا العمل هو صورة من صور الإخلاص لله والانقطاع إليه، أما التبتل الكامل فهو أوسع من هذا[1].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ وقول النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله: «لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام»؟

(ج) إن التبتل والرهبانية المرفوضة في الإسلام هو التبتل السلبي والرهبانية السلبية كما أخذت بها بعض الأوساط المسيحية حيث اعتزلوا الزواج والأمور الحياتية الطبيعية، وهذا ما رفضه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2].

التبتل والرهبانية الإيجابية مقبولة ومطلوبة، جاء في الحديث الشريف: «رهبانية أمتي في الجهاد».

---

(١) من هدى القرآن: الآية.

(٢) ٧: ٣٢.

❁ قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.

(س) قيل أن المراد من ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ..﴾ هو رب العالم، فلماذا قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ..﴾ ولم يقل ذلك؟

(ج) في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ و الْمَغْرِبِ﴾ تناسب مع ما سبق من الآيات التي تدعوا إلى قيام الليل والسبح في النهار وهما مرتبطان بشروق الشمس وغروبها.

(س) إن المشرق والمغرب إشارة إلى محل شروق الشمس وغروبها فلماذا قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ولم يقل رب مشرق الشمس ومغربها؟

(ج) إن إطلاق كلمة الربوبية إلى المشرق والمغرب أقرب إلى الواقع حيث يشمل ما بينهما أيضاً، وأنه تعالى رب المشرق والمغرب وما في الكون كله لذا فإن قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أوسع وأكمل من رب مشرق الشمس ومغربها[١].

❁ قال تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.

(س) لماذا أصبح الله تعالى هو الوكيل الحقيقي في أمور المخلوقات دون غيره؟

(ج) الوكيل الحقيقي الذي يمكن الاعتماد عليه في كل صغيرة وكبيرة هو الله تعالى لأنه يمتلك ما لا يمتلك غيره، فغيره متغير وزائل ولا يملك شيئاً ولا يستطيع دفع الضر عن نفسه ولا جلب الخير لها ولا يدري ماذا يحصل له غداً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

---

(١) من هدى القرآن: الآية.

(٢) لقمان: ٣٤.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «مسكين ابن آدم: مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة».

وقال عليه السلام: «لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينما تراه معافى إذ سقم، وبينما تراه غنياً إذ افتقر»[1].

بينما الله تبارك وتعالى هو الذي لا يتغير ولا يزول ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ وأنه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ و﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[2].

❁ **قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.**

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة والتي بعدها معطوفة على مدخول الفاء في قوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾، المعنى أنك لما اتخذتني وكيلاً ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ وفوض أمرهم إليّ لكي أقوم بإصلاح أمرك أحسن من قيامك بإصلاح أمور نفسك.

(س) كيف يمكن فهم قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾، هل الإسلام يأمر بالصبر على الأذى والكلام الجارح الذي يصدر من الكفار؟

(ج) لا توجد في القرآن الكريم آيةٌ تدعو المكلفين إلى الصبر والسكون وحده، فكل آيات الصبر فيها خطاب ودعوة إلى الحركة والعمل أيضاً واتخاذ الخطوات المناسبة للوصول إلى الهدف المطلوب، فقوله تعالى دعوة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وإلى المؤمنين في الثبات وعدم التزلزل أمام ما يقوله الظالمون بل عليهم أن يمتلكوا الرزانة

(١) نهج البلاغة: ح٤١٩ و٤٢٦ الكلمات القصار.

(٢) طه: ٦، ٧.

والتعقل في اتخاذ القرارات اللازمة ولا يكون ذلك إلا بعد التفكير والمشاورة الكافية.

(س) ما هو الهجر الجميل وما فائدته؟

(ج) الهجر الجميل هو مخالفة الطرف المقابل بالقلب والفعل مع المحافظة على المداراة، وقيل هو الهجران الملازم للشفقة والاستمرار بالدعوة إلى الله عز وجل والذي يعتبر أحد طرق التربية في مراحل خاصة، وهذا ما يحتاجه من يدعو إلى الدين والإيمان، أنه السبيل الأفضل لكسب قلوب المعاندين والكفار.

قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.

(س) لماذا نرى القرآن الكريم يوجّه تهديده إلى الكفار الأغنياء دون الفقراء منهم؟

(ج) قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «إن وصف المكذبين هنا بأولي النعمة وذلك للإشارة إلى علة ما يهددهم به من العذاب، فإن تكذيبهم بالدعوة الإلهية وهم متنعمون بنعمة ربهم، كفران منهم بالنعمة، وجزاء الكفران سلب النعمة وتبديلها بالنقمة»[١].

(س) ما مقدار المهلة القليلة التي أمر النبي صلى الله عليه وآله بمنحها لهم؟

(ج) الزمان القليل والفترة المحدودة التي منحت للمكذبين بالله ورسوله صلى الله عليه وآله هو مقدار ما يمكثون على هذه الأرض، حتى يأتيهم أجلهم المعين لهم، قال تعالى: **﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾**[٢]، وقال: **﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[٣].

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) المعارج: ٧.

(٣) ٣: ١٩٧.

(س) لماذا الإمهال؟

(ج) ١- لإظهار الماهية الحقيقية للإنسان.

٢- لإتمام الحجة.

٣- لإملائهم بالإثم، قال عز وجل: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1].

۞ **قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً ❖ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾.**

(س) الأنكال هي السلاسل الثقال، فلماذا لم يقل لدينا سلاسلاً وإنما قال لدينا أنكالاً؟

(ج) الأنكال هي القيود الشديدة من أي شيء كان، ويواجه المربوط بها الضعف والعجز عن الحركة، إذاً فلعل هذه الكلمة تحمل في طياتها الانتقام والإذلال والتنكيل بأصحابها المكذبين والمترفين الذين كانوا يذلون الآخرين ويحرمونهم حقوقهم الطبيعية، قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

۞ **قال تعالى: ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾.**

(س) لماذا الطعام المؤلم لأصحاب الجحيم؟

(ج) يقدم الطعام لهم استجابة لطلبهم حيث يطلبون شيئاً ليسدّ جوعهم فيعطى لهم الطعام المؤلم (جزاءا وفاقاً) كما كانوا يؤلمون الفقراء والمساكين بمنعهم عن حقهم الطبيعي في الحياة، قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، فيُطعَمُونَ ولكنهم لا يهنأون بالطعام بل يغصون، فيتردد في حلقهم، ولا يستطيعون بلعه، ولا يستسيغون رائحته ولا طعمه، وهو من شجرة الزقوم، قال عز وجل: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

الزَّقُّومِ ❁ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾.

❁ **قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.**

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) إن قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ..**﴾ جاء جواباً لسائل قد يسأل فيقول: ومتى يكون هذا العذاب؟ قال: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ..**﴾.

(س) كيف ترجف الأرض؟

(ج) الأرض مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى، تطيعه في كل ما يأمرها، فبالإضافة إلى ارتجافها، تخرج ما في بطنها، وتتحدث بما جرى على ظهرها بكل دقة، قال تعالى عز وجل: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❁ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ❁ وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا ❁ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾[٢].

(س) إذا رجفت الأرض ترجف الجبال معها، فلماذا ذكرت بصورة مستقلة وهي جزء منها؟

(ج) إن الآية تذكرة ورسالة مفتوحة إلى الإنسان تدعوه إلى التفكر والتعقّل، تقول له إذا كانت الجبال الصخرية في نظرك هائلة وعظيمة، يأتي يوم وتصبح كالتراب الناعم، فكيف يكون حالك يومئذ وأنت لا تملك زاداً صالحاً ولا قلباً سليماً، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ❁ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ**

---

(١) الدخان: ٤٣-٤٤.

(٢) الزلزلة: ١-٤.

سَلِيمٍ﴾[١].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ وقوله: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾؟

(ج) هناك مراحل متعددة سوف تواجهها الجبال، لعل ارتجافها مع الأرض هي المرحلة الأولى لها في عملية التبديل وحدوث القيامة الكبرى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢]، وأما حملهما ودكهما هي المرحلة الثانية لهما، فبعد الدك تصبح الجبال (كثيباً مهيلاً) وكالعهن المنفوش (وهو الصوف الملون المندوف)، قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٣].

(س) الكثيب هو الرمل المجتمع الكثير الذي تجمعه الرياح في الصحراء، وجمعه كثبان وهو سريع الانهيار والتطاير في الهواء، فلماذا لم تقل الآية المباركة: وكانت الجبال كثباناً مهيلة؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أن الجبال العظيمة جميعها تصبح كثيباً واحداً لا وزن له ولا قوة، ينهار ويتطاير بأقل فعل خارجي[٤].

۞ قال تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.

(س) وصف الله تبارك وتعالى الجبال المنهدة بأنها سوف ينهار بعضها على بعض، كالسائل الذي يتحرك لشدة تنعّمه، فكيف تصبح الجبال العظيمة بهذه

(١) الشعراء: ٨٨.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

(٣) القارعة: ٥.

(٤) تفسير من هدى القرآن: ج١٧ ص٣٤.

الصورة؟

(ج) ربنا سبحانه وتعالى هو الذي يحركها قال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾[٢].

وقال عز وجل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[٣].

(س) لماذا الحديث عن يوم القيامة؟

(ج) بما أن سياق السورة يدعوا إلى تعميق العلاقة بين العبد وربه جل وعلا من خلال قيام ساعات من الليل بين صلاة ودعاء وتفكر في آيات الله تعالى، فإن الحديث عن مشاهد الآخرة وما يجري في الكون دافع جميل يحفز العبد إلى ترك النوم والتوجه إلى الله تعالى ولو بالمقدار المتيسّر.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۞ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

(س) ما هي المناسبة الموجودة بين قوله تعالى والآية السابقة؟

(ج) في الآيتين إنذار للمكذبين والطغاة من قوم النبي محمد ﷺ والسائرين على نهجهم إلى يوم القيامة، بأن حالهم كحال فرعون الطاغية، لما استكبر على الله ورسوله أخذه أخذةً شديدة مع ما كان له من العزّة الظاهرية وكثرة العدد والعدة وسعة المملكة، ولكن لم تغن عنه شيئاً، فما ظن الذين يسيرون على نهجه هل

---

(١) الكهف: ٤٧.

(٢) النبأ: ٢٠.

(٣) النمل: ٨٨.

ستكون عاقبتهم أفضل من عاقبة فرعون، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وفي الآية المتقدمة التفات عن الغيبة إلى الخطاب المباشر وذلك لكي يكون الإنذار مباشراً بأن السنة جارية، فليرتفع الوهم الذي قد يطرأ على بعض العقول بأن الله تعالى لا يعاقب الظالمين والمكذبين كما كان من قبل[٢].

(س) كيف يكون الرسول شاهداً عليهم بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ﴾؟

(ج) ١- إنه ﷺ شاهد عليهم يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.

٢- أن يكون مبيناً للحق في الدنيا، ومبيناً لبطلان ما هم عليه من الكفر من خلال تجسيده للقيم الإلهية، مما يجعله ﷺ ميزاناً لمعرفة الحق والباطل، وأسوة لمن أراد الهداية إلى الصراط المستقيم[٣].

(س) لماذا ذكر تعالى في السورة قصة فرعون وموسى عليه السلام على التعيين دون سائر الرسل والأمم؟

(ج) ١- إن الذين واجهوا موسى عليه السلام هم الطغاة والمترفون وعلى رأسهم فرعون، فكذلك الأمر بالنسبة لنبينا محمد ﷺ فقد عارضه صناديد قريش أمثال أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان، بينما فتح الفقراء صدورهم إليه إلى رسالته السامية.

(١) القصص: ٤٠.

(٢) تفسير الميزان: سورة الملك الآية.

(٣) من هدى القرآن.

❁ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ﴾[١].

٢- إن أهل مكة استخفوا بالنبي ﷺ في بداية بعثته لأنه بشرٌ مثلهم وولد فيهم، فكانوا يطلبون ملكاً من الملائكة رسولاً لهم من الله تعالى، فكذلك الأمر بالنسبة لفرعون حيث أزرى بموسى عليه السلام لأنه رباه وولد بينهم، وهو قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[٢].

٣- إن نهاية الطاغية فرعون خير درس للطغاة والمستكبرين والظلمة على مرّ العصور، إذ الأموال الكثيرة والإمكانيات الكبيرة التي كانت لديه لم تغن عنه شيئاً، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[٣].

❁ قال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ ولم يقل موسى؟

(ج) في التعبير عن موسى بالرسول إشارة إلى سبب إهلاك فرعون وأخذه أخذاً شديداً وهو مخالفته لموسى عليه السلام لكونه رسولاً من عند الله تعالى، لا لشخص موسى بما أنه موسى، إذاً فليحذر السامعون مخالفة الرسول محمد ﷺ، فإنه يحمل رسالة من الله تبارك وتعالى ومخالفته مخالفة لله تعالى[٤].

---

(١) التوبة: ١٢٩.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠- ص١٨٣، والآية من سورة الشعراء: ١٨.

(٣) يونس: ٩٣.

(٤) تفسير الميزان: الآية.

❁ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بسابقتها؟

(ج) الآية المباركة تشير إلى هذا السؤال، وهو أنكم إن لم يؤدي بكم العذاب الدنيوي إلى الهلاك التام كما حدث للفراعنة؟ فكيف بكم من عذاب يوم القيامة، كيف تتقونه وتبعدوه عنكم وأنتم لا تملكون زاداً صالحاً ينفعكم وقد خالفتم الله ورسوله وأهل بيت نبيه الأئمة الأطهار عليهم السلام.

(س) ما موقع (يوماً) في الآية المباركة؟

(ج) قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «نسبة الاتقاء إلى اليوم من المجاز العقلي والمراد اتقاء العذاب الموعود فيه، وعليه فيوماً مفعول به لتتقون والتقدير: فكيف تتقون العذاب الكائن في يوم القيامة إن بقيتم على الكفر؟».

وقال (صاحب الكشاف): «فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر».

(س) الآية المباركة تشير إلى شدّة وعظمة يوم القيامة فما هي بعض مواصفاتها؟

(ج) إن يوم القيامة أعظم يوم يواجهه الإنسان، فيه يتقرر مصيره النهائي، والله تبارك وتعالى دعا عباده إلى الاستعداد والتهيؤ الكامل، وذلك للأسباب التالية:

١- للزلزلة الكبيرة التي تحدث مع مجيئها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ❁ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[١].

---

(١) الحج: ١-٢.

٢- إنه يوم الفصل والوحدة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ❖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾(٣).

٣- إنه يوم الحساب الأكبر: قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(٤).

(س) كيف يصبح الولدان شيباً، بقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيبُ فيه الأطفال»(٥).

إن الشيب كناية عن شدة المحنة والعذاب الذي يواجهه الكفار والمجرمون بما سوّدوا صحائفهم بالذنوب والمعاصي ولعلّه يحدث بسبب طول الموقف الذي سيقفونه بين يدي الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(٦).

(س) هل هناك من لا يشيب يوم القيامة؟

---

(١) عبس: ٣٧.

(٢) القارعة: ٤.

(٣) القمر: ٧.

(٤) الزلزلة: ٧-٨.

(٥) نهج البلاغة: خ١٥٧ ص٢٢٢.

(٦) الحج: ٤٧، التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٨٤.

(ج) إن الشيب إنما يحصل للإنسان بسبب التغيرات الهائلة التي سوف تحصل في الكون فتفزعُ بسبب ذلك كل المخلوقات إلا من شاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ﴾[1]، فالذي لا يحزن هم الذين تتلقاهم الملائكة بأحسن صورة، وذلك بما كانت لهم من مواقف حسنة في سبيل الله تبارك وتعالى، وعلى رأسهم سيد الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ ثم الأئمة الطاهرون عليهم السلام الذين بذلوا الغالي والنفيس لأجل إحياء الإسلام، وفي ظلهم يكون المؤمنون في سلام وعافية.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3].

(س) الآية المباركة تشير إلى حدوث حالة الشيب في الولدان في لحظة فكيف يمكن حصول ذلك، والأمر يحتاج إلى مدة من الزمن؟

(ج) إن الحوادث التي يواجهها الإنسان في الدنيا ليست بشيء أمام التي سيشاهدها ما بعد هذه الحياة، لذا فالمتغيرات العظيمة سوف تفقده قدرة احتمالها، وسوف تغير به وبملامحه بصورة تختلف عما في هذه الدنيا، منها أنه سيجد حالة الشيب الكامل في بدنه في زمن قصير جداً[4].

(س) المعاناة والعذاب هما سبب حصول الشيب على الإنسان، فكيف يجوز

---

(١) النمل: ٨٧.

(٢) النمل: ٨٩.

(٣) الأنبياء: ١٠٣.

(٤) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٨٤.

إيصال العذاب إلى الولدان يوم القيامة وهم أبرياء لا ذنب لهم؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره:

١ - إنه مَثَلٌ وكناية عن الشدة والمحنة، وليس المراد أن هول ذلك اليوم (يجعل الولدان شيباً) حقيقة لأن إيصال الألم والخوف إلى الصبيان وهم غير مكلفين غير جائز، إذ الغالب منهم لم يقترف ذنباً[1].

٢ - يجوز أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول، حيث الأطفال يبلغون فيه الشيب والشيخوخة[2].

۞ قال تعالى: ﴿السَّمَاء مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾.

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟

(ج) الآية المباركة جاءت بعد ذكر بعض الأمور التي سوف تحدث يوم القيامة ومنها السماء تنفطر أيضاً بسبب الانفجارات والزلازل التي ستحدث، فالآية تخاطب الإنسان، تقول له: هكذا سيكون مصير السماء التي خلقها الله بصورة شديدة **﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾**.

كيف سيكون حالك يومئذ، وأنت لا تقوى على دفع الضرر القليل عن نفسك في هذه الدنيا، قال الإمام علي عليه السلام: «مسكين ابن آدم تنته العرقة وتؤلمه البقة وتقتله الشرقة».

(س) لماذا لم يقل تعالى: السماء منفطرةٌ؟

(ج) السماء ليست مؤنث حقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره وتأنيثه.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تفسير من هدى القرآن: ج١٧ ص٣٧.

۞ قال تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾.

(س) هل يمكن عدم وقوع يوم القيامة؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتأكيد حقيقة مجيء الآخرة والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى، وإن مسألة مجيء يوم الحساب من الأمور البديهية التي يوجبها العقل والفطرة، وعدم مجيئه شيءٌ يرفضه العقل كاملاً، وذلك لحصول حالة العبثية الكاملة في الخلق.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

(س) عندما يقول القرآن الكريم بأنه تذكرة والرسول ﷺ مذكر ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ إذاً فمن أين يعرف الإنسان الخير والشر؟

(ج) قال عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

(س) كيف قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ بينما مرت آيات متعددة تذكر

(١) الدخان: ٣٨.
(٢) الأحقاف: ٣٤.
(٣) الشمس: ٧-١٠.

الإنسان بالحقيقة التي سيصير إليها؟

(ج) إن التذكرات التي جاءت بها هذه السورة وكذا ما يحمله القرآن الكريم، تصب جميعها في قناة واحدة تدعوا الإنسان إلى عبادة الله تبارك وتعالى، فلا تناقض ولا تعارض بينها.

۞ قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

(س) ما هو السبيل الذي إذا اتخذه الإنسان سوف يوصله إلى ربه؟

(ج) الاهتداء إلى الصراط المستقيم والأخذ به علماً وعملاً هو السبيل المؤدي إلى الله تبارك وتعالى، وللصراط المستقيم مصاديق كبرى منها القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[1].

وقال: **﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً..﴾**[2].

ومنها القيادة الرسالية العليا ومصداقها النبي الأعظم والأئمة المعصومون عليهم السلام.

جاء في دعاء الندبة: «ثم جعلت أجر محمد صلى الله عليه وآله مودّتهم في كتابك، فقلت: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَنْ شَاء أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾** فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك»[3].

---

(١) الزخرف: ٤٣.

(٢) الأنعام: ١٦١.

(٣) مفاتيح الجنان: ص٥٣٣.

❁ **قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ . . ﴾.**

(س) ما مناسبة مجيء هذه الآية التي تنتهي بها السورة المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتحمل أمرَ التخفيف فيما أُمرَ به النبي ﷺ في صدر السورة من قيام الليل والصلاة فيه ثم عُمِّمَ الحكم لسائر المؤمنين، ليرتفع التكليف بقيام الليل عن ذوي الأعذار المشروعة بصورة تامة، أو يخفف إلى حدّ الاكتفاء بقراءة ما تيسّر من القرآن، أو ممارسة مجموعة من الواجبات العامة منها الصلاة والزكاة والإنفاق والاستغفار.

(س) لماذا التخفيف بعد التشديد؟

(ج) لما جاء الإسلام العظيم حاملاً الأحكام الشرعية إلى الناس، يظهر أنه في بداية الأمر جاء ببرنامج مكثف ومركز للإصلاح الاجتماعي، فلما حصل شيء من الإصلاح والتطهير الذاتي في المسلمين، خُففت الأحكام عليهم منها مسألة قيام الليل، فقد فرض الله على المؤمنين تقديم صدقة بين يدي نجواهم الرسول **﴿ءأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾**[1] ثم ألغيت الصدقة، وحرّم عليهم مقاربة أزواجهم ليالي الصيام ثم أحلها، وفي الجهاد حيث كان فرضاً واجباً حتى لو كانت نسبة المسلمين إلى الكفار واحداً إلى عشرة، ثم خفف بنسبة واحد إلى اثنين **﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ❖ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ**

---

(١) المجادلة: ١٣.

حَكِيمٌ﴾(١).

(س) كيف كان قيام النبي الأكرم محمد ﷺ ؟

(ج) قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ يشير إلى أن النبي الأكرم ﷺ كان يقوم الليل كما أمر تعالى في بداية السورة ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ❖ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ❖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ ، فمرة يقوم أقل من الثلثين ، وفي الليلة التالية يقوم نصفها ، وفي أخرى الثلث ، أو أنه ﷺ كان ينهض لقيام الليل ثلاث مرات يستريح بينها(٢).

❁ قال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾.

(س) كيف كان الأصحاب يقومون مع الرسول ﷺ ؟

(ج) كان خلص أصحابه (وقليلٌ ما هم) من الرعيل الأول يقومون الليل كما يقومه النبي ﷺ تأسياً به ، وكأنّ الآية تبين معنى المعية ، بأنها ليست مجرد شعار وانتماء ظاهري خالي من الحقيقة والصدق وكما كان عليه الكثير ممن أسلموا واستسلموا وما كان قصدهم إلا الحصول على بعض المطامع الدنيوية ، الأصحاب الحقيقيون الذين تشير لهم الآية هم الذين أخذوا بالدين من جميع أطرافه وبذلوا في سبيله الغالي والنفيس بعد أن أطاعوا نبيهم ﷺ بالقول والعمل ، والأجيال الحاضرة يمكن لها أن تكون مع الرسول ﷺ وذلك إذا أخذت بالعقيدة بالشكل المطلوب . قال الحسكاني : ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ علي وأبو ذر(٣)(٤).

---

(١) من هدى القرآن : الآية ، الأنفال : ٦٥-٦٦ .

(٢) راجع تفسير نور الثقلين : ج١ ص٤٢٢ .

(٣) تفسير البصائر : ج٥٠ ص١٣٢ عن المجمع .

(٤) من هدى القرآن : الآية .

(س) ما المراد من معرفة الله تعالى لتقدير الليل والنهار بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾؟

(ج) قال الفخر الرازي: «إن العالم بمقادير أجزاء الليل والنهار ليس إلا الله تعالى، وإن الليالي تختلف في الجانب الزمني، حيث تطول وتقصر».

فالمعنى: فلأن الله تعالى هو الذي يعلم أوقات الليل والنهار، فلذا فهو الذي يعلم المقدار الذي يقومه المصلي من الليل.

۞ قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾.

(س) لماذا التوبة على عدم الإحصاء؟

(ج) لما كان معرفة مقدار كل من الليل والنهار أمراً صعباً على المكلفين حيث قال: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ أي لن تطيقوه، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ليتخفف عليهم الأمر.

قال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام، فقال سبحانه: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ أي لن تطيقوا معرفة ذلك، فلهذا تخفف أمر قيام الليل على المكلفين إلى قراءة ما تيسر من القرآن، فالتوبة هنا هي عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر، كقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾.

(س) ما مقدار القرآن المطلوب قراءته، بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾؟

(ج) قال سعيد بن جبير (رضوان الله عليه): خمسون آية، وقال ابن عبا(س) مائة آية، وقال السدي: مائتا آية، وقال جويبر: ثلث القرآن لأن الله يسره على

عباده، إشارةً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. وليس بين الأقوال الأربعة تناقض، إن ﴿مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ما يجده القارئ يسيراً على نفسه، سواء كان آيةً واحدةً أو القرآن كله.

(س) ما هي الأسباب التي دعت إلى تخفيف الحكم من الوجوب إلى الندب وإلى قراءة ما تيسر من القرآن الكريم؟

(ج) الآية المباركة ذكرت ثلاثة أعذار يواجهها المكلفون وهي:

١- المرض، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾.

٢- الكسب، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾.

٣- الجهاد، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.

ولا شك أن هناك أعذار أخرى كثيرة يواجهها الإنسان فتقعده عن قيام الليل، لهذا خفف الحكم على الجميع، وليس للمعذورين فقط.

(س) هل في الآية نسخ لما جاء في أول السورة؟

(ج) ظاهر الآية يدلّ على النسخ، إن الأمر جاء بشكل وجوبي في صدر السورة وذلك لإقامة منهج عبادي مركز وقد حصل لمدة معينة، ثم نسخ بعد ذلك بهذه الآية وأصبح أخف من قبل.

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة أعذار المرض والكسب والقتال بأنها هي التي تدعو إلى تخفيف الحكم على المكلفين، فهل يوجد تناسب فيما بينها؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: «ومن لطائف هذه الآية أنه تعالى ساوى بين المجاهدين والمسافرين للكسب الحلال»، عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال:

«أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء»[١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله».

(س) لماذا جاء التأكيد على قراءة القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾؟

(ج) الآية نسخت أمر قيام الليل وجعلته مستحباً، ولكنها أكدت على قراءة القرآن الكريم، يُفهم من ذلك أنه يمكن الاستغناء عن صلاة الليل بينما لا يمكن الأستغناء عن القرآن.

(س) هل الواجب على المؤمن قراءة القرآن ليلاً بعد أن خفف عنه أمر صلاة الليل، أم يمكن له ذلك في الأوقات الأخرى؟

(ج) لا شك أن قراءة القرآن الكريم ليلاً أفضل من وقت النهار، لما يصطحب الليل معه الهدوء والسكون العام للمخلوقات، عنده يمكن للمؤمن الانقطاع والتوجه إلى الله تعالى أكثر، وإلا فإن المجال مفتوح أمام الإنسان، حيث يتمكن من قراءة القرآن في أي وقت شاء وأي مقدار يستطيع.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾.

(س) ما الفرق بين ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ و﴿وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾؟

(ج) بعد أن ذكر الله تعالى وجوب الصلوات الخمس المفروضة، ذكر الزكاة والقرض الحسن، فـ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كناية عن كل إنفاق واجب، يزكي المؤمن ماله ونفسه، و﴿وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ هو كل إنفاق مستحب في سبيل الله.

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ الآية.

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) للتنبيه إلى أن التكاليف الدينية على حالها في وجوب الاهتمام بها والاعتناء بأمرها، فلا يتوهمنّ أحد سريان التخفيف والمسامحة في جميع التكاليف، فالآية نظير قوله تعالى في آية النجوى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾.

(س) متى يجد المؤمن جزاء عمله الصالح؟

(ج) لا شك أن المؤمن سيجد الجزاء الصالح لعمله بعد أداءه لذلك العمل مباشرةً وذلك لحصول ثقل في ميزان حسناته عند الله، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ إذ لم تأت الآية بسين ولا سوف ليدلّ على المستقبل، فيجد المؤمن الجزاء الطيب لعمله مع عمله وبعده مباشرةً، وأحياناً يدّخرها الله تعالى لوقت آخر يحتاج فيه المؤمن إلى ما يسعفه ويدفع عنه البلاء، فالمكاره الكثيرة التي تدفع عن المؤمنين ليست إلا نتائج أعمال صالحة سابقة بادروا إليها من قبل[2].

(س) كيف يمكن فهم تضاعف الأجر عند الله تعالى بقوله: ﴿هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾؟

(ج) إن الذي يطلبه الله تعالى من الإنسان هو القليل الحسن، ويرفض الكثير الرديء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

---

(١) المجادلة: ١٣.

(٢) من هدى القرآن: الآية.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[١] ، فلربّ درهم واحد ينقل صاحبه إلى ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * ونَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[٢] .

كما حصل هذا الأمر لأئمة أهل البيت عليهم السلام حيث خلّدهم القرآن الكريم وذكرهم في الكثير من آياته ، لما جاءوا من أعمال خالصة لوجه الله تبارك وتعالى منها قوله تعالى : ﴿ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً ويَتِيماً وأَسِيراً * إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولا شُكُوراً * إنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ولَقَّاهُمْ نَضْرَةً وسُرُوراً * وجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وحَرِيراً﴾[٣] .

❁ قال تعالى: ﴿واسْتَغْفِرُوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

(س) لماذا الاستغفار أخيراً؟

(ج) ١- لما جاء التخفيف في حكم قيام الليل من الوجوب إلى الندب ، أتبع الله تعالى ذلك بالاستغفار ، ودعا المؤمنين إليه ، مما يوحي أن ترك القيام ليلاً غير محمود عنده في حال وجود العذر ، فكيف بتركه مع عدم وجود العذر؟! فيمكن لنا أن نفهم من هذا أن على الإنسان التوجه إلى ربه تبارك وتعالى ليلاً في جميع الأحوال ولو بمقدار يسير ، كصلاة ركعتين أو استغفار أو قراءة سورة صغيرة على أقل تقدير .

٢- لما أمر الله تعالى بالصلاة والزكاة والقرض في الآية المباركة ، ربما يدخل في نفوس البعض الغرور والسرور من إنجاز تلك الطاعات ، فجاء الاستغفار ليقول لا

---

(١) الملك : ٢ .

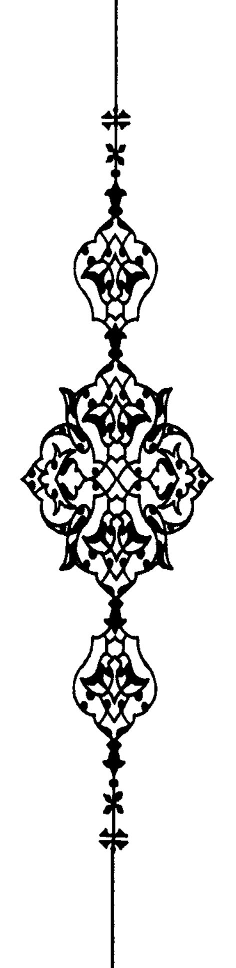
(٢) الغاشية : ١٠-١٥ .

(٣) الإنسان : ٨-١٢ .

تصوروا بأنكم اكتملتم بذلك بل اعتبروا أنفسكم مقصرين على الدوام وفي كل الأحوال[١].

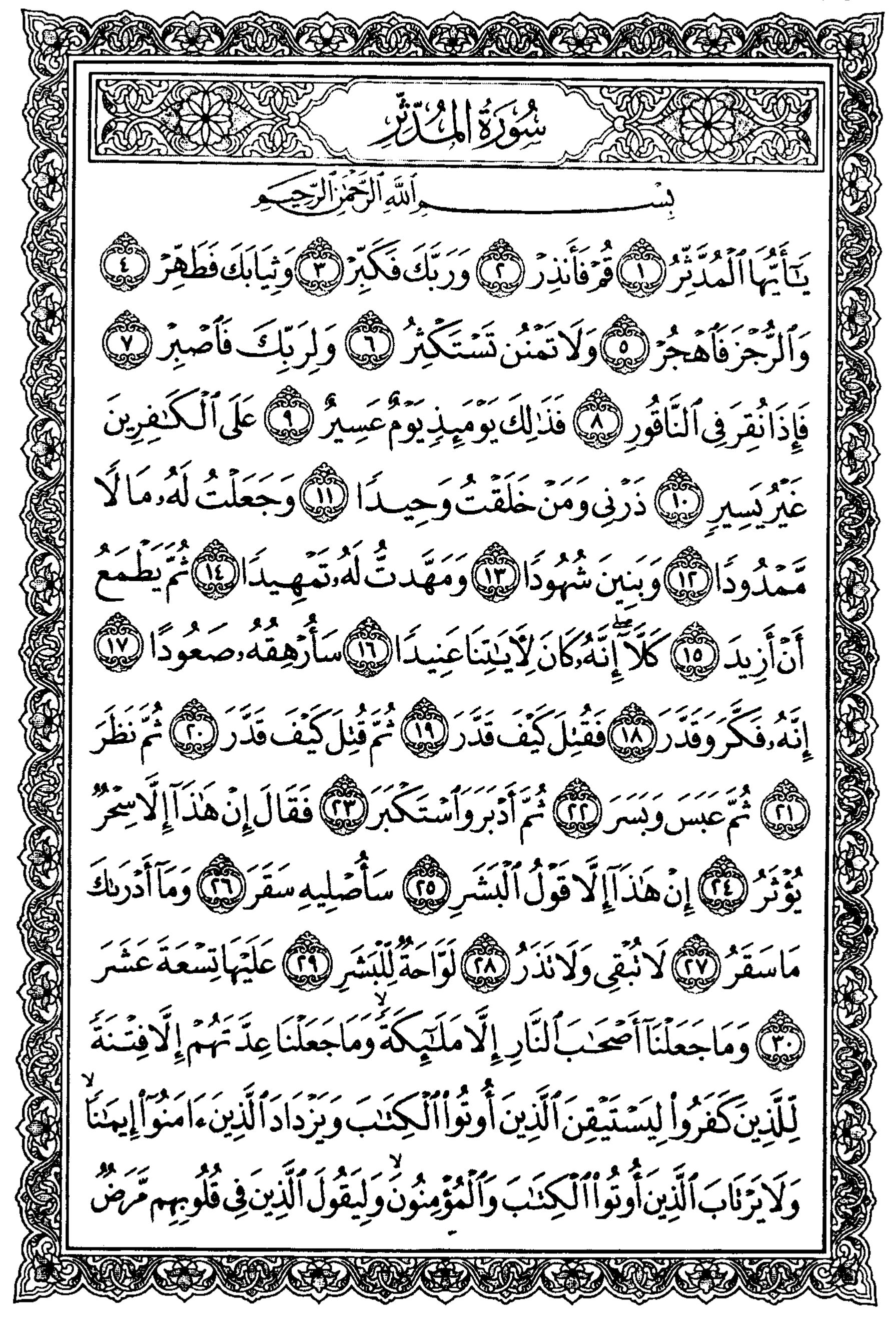
---

(١) من هدى القرآن : الآية .



سورة المدثر





سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

فضل السورة:

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «من قرأ في الفريضة سورة المدّثر كان حقاً على الله عز وجل أن يجعله مع محمد صلى الله عليه وآله في درجته، ولا يدركه في الحياة الدنيا شقاء أبداً إن شاء الله»[1].

وبديهي أن هذه النتائج العظيمة تعطى مع التمعّن في معانيها وتطبيقها على ساحة الواقع والعمل، وأن لا يكون الفرد ممن تشير إليه الآية المباركة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**[2].

مفردات السورة:

المدّثّر: أصله المتدثر، اسم فاعل من التدثر بمعنى التغطي بالثياب عند النوم.

الثياب: عموم ما يتصل بشخصية الإنسان من الناحية الظاهرية.

الرجز: العذاب أو الإثم والمعصية.

المنّ: تكدير الصنيعة بذكرها للمنعم عليه، قال تعالى: **﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾**[3].

الاستكثار: رؤية الشيء كثيراً.

نُقِر: قُرِعَ.

الناقور: ما يُقرع فيه للتصويت.

ذرني: كلمة تهديد.

ممدودا: مبسوطاً.

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٥٢.

(٢) الصف: ٢-٣.

(٣) البقرة: ٢٦٤.

شهود: حضور.

العنيد: المعاند المباهي بما عنده.

سأرهقه: الإرهاق الغشيان بعنف.

صعودا: الصعود كناية عن المشقة.

عَبَس: قَطَب وجهه.

بَسَرَ: ازداد عبسه، البسور: ظهور التكرّه في الوجه.

يؤثر: يُنقل عن غيره، وقيل تميل إليه النفوس وتفضّله على غيره.

سأصليه: سألزمه.

لوّاحةٌ: مهلكةٌ.

أسفر: أضاء.

رهينة: محفوظة.

سلككم: أدخلكم.

نخوض: الخوض: الاشتغال بالباطل قولاً أو فعلاً والغور فيه.

حُمرٌ: جمع حمار.

مستنفرة: الاستنفار من النفور المختلط بشعور الخوف والخطر.

قسوَرَة: القسورة: الأسد والصائد، مأخوذة من القسر بمعنى القهر، ويسمى الأسد بذلك حينما ينقض على طريدته ويقهرها.

موضوع السورة:

يدور موضوع السورة حول عدة أمور منها:

١- يأمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالنهوض لتحمل أعباء الرسالة بالدعوة العلنية، وتكبير الله وتطهير الثياب من كل نجاسة مادية ومعنوية، والتمسك بالصبر والاستقامة.

٢- إن ما في أيدي الكفار من نعم مادية ليس دليلاً على حبّ الله تعالى لهم ولا على صحة منهجهم في الحياة، بل ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

٣- الإشارة إلى المعاد وأوصاف أهل النار الذين واجهوا القرآن بالتكذيب والإعراض عنه.

٤- الإشارة إلى أن مستقبل الإنسان مرتبط بيده، فهو قادرٌ على أن يكون من أهل النار أو من أهل الجنة، ثم تشير الآيات إلى بعض أوصافهم وعاقبة أمرهم[1]..

الأسئلة والأجوبة:

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

(س) متى نزلت السورة المباركة؟

(ج) عندما نتمعّن قليلاً في سورتي العلق والمدثر، يتضح لنا أن سورة العلق نزلت في بدء الدعوة، بينما سورة المدثر نزلت بعد ذلك، أي في زمن قد أمر النبي محمد ﷺ بالدعوة العلنية بعد أن كان السر هو المنهج المتبع في الدعوة النبوية الشريفة، إذاً سورة العلق هي أول سورة نزلت في صدر البعثة وسورة المدثر هي الأولى التي نزلت مع الدعوة العلنية.

(س) بماذا كان النبي الأعظم متدثراً حين نزول الآية عليه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؟

(ج) هناك عدة آراء منها:

١- متدثر بغطاء: فإن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ في مختلف حالاته،

---

(١) من هدى القرآن: سورة المدثر.

راكباً وراجلاً ونائماً ويقظاً وو . .

٢- متدثر بدثار النبوة .

٣- تأتي بمعنى المتكتم والمتخفي ، وعليه فإن سورة المدثر يحتمل أن تكون فاتحة المرحلة العلنية من الدعوة الإسلامية ، بعد انتهاء مرحلة الدعوة السرية(١) .

(س) هل يمكن قبول الرواية التي يذكرها الرازي في تفسيره ، أن النبي صلى الله عليه وآله قال : كنت على جبل حراء ، فنوديت يا محمد إنك رسول الله ، فنظرت عن يمين ويساري ، فلم أر شيئاً ، فنظرت فوقي ، فرأيت الملك قاعداً على عرش بين السماء والأرض ، فخفت ورجعت إلى خديجة فقلت : دثروني دثروني . . وصبوا علي ماءً بارداً ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ، ورواية أخرى تقول رجع النبي صلى الله عليه وآله إلى بيته محزوناً من كلام المشركين واتهاماتهم ، فتدثر بثيابه ونام ، فنزلت الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ؟

(ج) لا يمكن قبول هاتين الروايتين لما فيهما من التقليل لشخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله الذي هو سيد الكائنات إيماناً ويقيناً بالله تعالى ، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أقل درجة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يقول : «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» ، فكيف بالنبي صلى الله عليه وآله وكيف يمكن قبول الكلام الذي يقول : لما رأى النبي ملكاً جالساً على عرش بين السماء والأرض ، خاف ورجع إلى خديجة يقول دثروني دثروني . . (لينام) ، أو أنه صلى الله عليه وآله أصابه الحزن من كلام المشركين واتهاماتهم فتغطى بثيابه ونام ، فمثل هذا الكلام لا يليق بسيد الكائنات وهو أعظم شخصية خلقها الله تعالى ، بلى قد يكون الرسول صلى الله عليه وآله حين نزول هذه الآيات متدثراً لأسباب

(١) تفسير من هدى القرآن : ج١٧ ص٦٢ .

عادية وطبيعية، كما يتدثر سائر البشر للأمور الحياتية[١].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

(س) هل كان النبي ﷺ نائماً لكي يقوم وينذر؟

(ج) ١- يمكن أن يكون نائماً، حيث كان الوحي ينزل على النبي ﷺ في مختلف حالاته اليومية، وإذا كان نائماً فقلبه غير نائم.

٢- ويمكن أن يكون المراد: قم قيام عزم وتصميم، كما نقول أخذت بالأمر بقوة وشدة.

٣- ويمكن أن يكون المراد القيام للجهاد والتغيير، لوصفه تعالى المتقاعسين بالقاعدين، قال عز وجل: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[٣].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ولم يقل قم فبشر، والرسول ﷺ مبعوث للبشارة كما أنه مبعوث للإنذار؟

(ج) إن البشارة تكون بعد ظهور علامات تحقق الإنذار في المجتمع بصورته العلمية والعملية، وإلا فلا يمكن تبشير أناس بالخير والجنة وهم لا يخافون الله تعالى ولا يطيعونه في شيء أبداً.

(س) من ينذر ومن أي شيء؟

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص٦١.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) النساء: ٩٥.

(ج) ١- ينذر عشيرته الأقربين، لمناسبة ابتداء الدعوة العلنية، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1].

٢- ينذر كل الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[2].

والإنذار يكون من العواقب السيئة للضلال والانحراف ومن ثم العقاب الإلهي إن لم يؤمنوا بالمبادئ والقيم الإلهية.

۞ قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) ١- قال الفخر الرازي في تفسيره: «لمّا أمر النبي محمد ﷺ بالإنذار، فكأن سائلاً سأل وقال: بماذا ينذر؟ فقال: أن يكبر ربه عن الشركاء والأضداد ومشابهة الممكنات والمحدثات، كما قال في سورة النحل: ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِي﴾».

٢- الآية المباركة والآيات الأربعة التالية لها هي الصفات المهمة التي يجب أن تتوفر في من يحمل لواء الإنذار والهداية إلى المجتمع، لكي يحقّق هدفه بالشكل المطلوب وليكون منذراً بمعنى الكلمة[3].

(س) ما المراد من تكبير الله سبحانه وتعالى؟

(ج) ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن معنى التكبير: هو الله أكبر من أن يوصف، فهو تعالى أكبر من كل وصف نصفه حتى من هذا الوصف، وهذا التوحيد

(١) الشعراء: ٢١٥، الميزان: ج٢٠ ص٨٠.
(٢) التفسير الكبير الآية.
(٣) من هدى القرآن: الآية.

الذي نعتقد به، يفوق ما نجده من معنى التوحيد في سائر الشرائع السماوية الأخرى[١].

(س) ما الفرق بين التكبير والتسبيح؟

(ج) سبحان الله: تنزيهٌ له تعالى عن كل وصف عدمي، مبني على النقص كالموت والعجز والجهل وغير ذلك..

الله أكبر: تنزيهٌ مطلق لله تعالى عن كل وصف نصفه به أعم من أن يكون عدمياً أو وجودياً حتى من نفس هذا الوصف لما أن كل مفهوم محدودٌ في نفسه، وهو تعالى لا يحيط به حد.

۞ قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) لما جاء أمر الطهارة الروحية بقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، جاء أمر الطهارة الظاهرية، ليتحقق عند المؤمن الرسالي كلا الطهارتين، لكي لا يجد أعداؤه ثغرات ضعف، يدخلوا النقص فيه من خلالها[٢].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ولم يقل وثوبك فطهر؟

(ج) يظهر هناك عدة أنواع من الثياب يلبسها الإنسان خلال مسيرة حياته ويجب أن تكن طاهرة ومطهرة، منها:

١ - النفس: فإن ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ كناية عن إصلاح العمل، أي: ونفسك فطهرها من الذنوب، إذ يُقال: طاهر الثياب أي طاهر النفس، ودنس الثياب أي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

خبيث الفعل والمذهب.

٢- الأزواج، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ ومعنى الآية وأزواجك فطهرهنّ من الكفر والمعاصي.

٣- اللباس: وذلك بتنظيفه وتطهيره من النجاسة، وتقصيره، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ثيابك ارفعها لا تجرّها»[(١)].

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال في معنى الآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أي ثيابك فقصر[(٢)].

(س) كيف يحرز المصلي الطهارة الكاملة لثوبه؟

(ج) يحقق المصلي الطهارة الكاملة لثوبه وذلك إذا أخذ بالبعد المادي والمعنوي، منها:

١- تطهير الثوب من الأنجاس والأقذار.

٢- تقصير الثوب، بدل تطويله، الذي يؤدي إلى نجاسته، وهو المعنى الآخر لقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ كما ذهب إليه الكثير من المفسرين.

٣- أن تكون طاهرة من الغصب أو الحرام أي يكون مكسبه من وجه حلال[(٣)].

(س) متى شرعت الصلاة؟

(ج) إن قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ توعدان إلى التطهير الباطني والخارجي، وإنهما تشيران لتشريع أصل الصلاة مقارناً للأمر بالدعوة

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٨٥.

(٢) من هدى القرآن: ج١٧ ص٦٨.

(٣) المصدر نفسه.

العلنية، وإن سورتي العلق والمزمل تشيران إلى أن الصلاة كانت منذ أوائل البعثة النبوية الشريفة[١].

۞ **قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.**

(س) ما المراد من الرجز الذي يجب هجرانه؟

(ج) هو الإثم والمعصية، والمراد من هجرانه هو ترك أسبابه التي تؤدي إليه.

قال الرازي: هو العذاب، قال تعالى: **﴿ولَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ولَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ❖ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾**[٢].

(س) لماذا قال تعالى: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** ولم يقل: فاترك؟

(ج) إن الهجر أعم من الترك، حيث يشمل البدن واللسان والقلب، قال تعالى: **﴿واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾**[٣] كناية عن عدم مقاربتهن.

وقوله تعالى: **﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾**[٤]، فهذا الهجر بالقلب واللسان والعمل والتعلّم.

وقوله: **﴿واهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾** يحتمل أنواعه[٥].

فقوله تعالى: **﴿والرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** حثٌّ على ترك الإثم والمعصية بمختلف

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأعراف: ١٣٤-١٣٥، التفسير الكبير الآية.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) الفرقان: ٣٠.

(٥) مفردات الراغب.

الوجوه التي مرت .

(س) هل اقترب النبي ﷺ من الرجز - والعياذ بالله - لكي تقول له الآية فاهجر؟

(ج) ١- المراد من الأمر المداومة على ذلك الهجران ، كما أن المسلم إذا قال اهدنا فليس معناه إنا لسنا على الهداية فاهدنا ، بل المراد ثبتنا على هذه الهداية .

٢- إنه من باب إياك أعني واسمعي يا جارة ، حيث نزل القرآن به .

۞ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ .

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره : إنه تعالى أمره قبل هذه الآية بأربعة أشياء ، وهي إنذار القوم وتكبير الرب ، وتطهير الثياب ، وهجر الرجز ، ثم قال : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ أي لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة ، كالمستكثر لما تفعله ، بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقرباً بذلك إليه غير ممتن به عليه[١] .

(س) ما الحكمة من محظوريّة المن؟

(ج) ١- المنّ يُكدرُ العمل والخير للمنعم عليه فلا يجد الأخير فيه الراحة واللذّة .

٢- إذا منّ الإنسان في عمله ، فإنه بذلك يريد أخذ الجزاء من المتفضل عليه وبهذا يبطل أجره الآخروي ، قال تعالى : ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[٢] .

٣- نهى الله تعالى عن المن وذلك لكي تكون عطايا الإنسان وأعماله لوجهه الكريم لا لأجل طلب الدنيا .

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٩٤ .

(٢) البقرة: ٢٦٤ .

٤- إن كل ما يعطيه العبد من الدنيا قليلٌ بالنسبة لعطاء الله تعالى، فلذا لابدّ على المعطي أن يتواضع ويتذلّل للمتفضل عليه، لا أن يسمعه كلمات يفقد بسببها ثواب الله سبحانه.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك الأشتر لمّا ولاه مصر: «وإياك والمن على رعيتك بإحسانك.. فإنّ المن يبطل الإحسان»[١].

(س) هل يمكن لنبي من الأنبياء عليهم السلام أن يمنّ على قومه؟

(ج) لا يمكن لنبي ولا لداعية صادق أن يمنّ على الناس بشيء من الأشياء وذلك للأسباب التالية:

١- إن المن يدعوا الناس إلى النفور الكامل من الداعية، بينما عدمه يدعو إلى خلافه[٢].

٢- إذا منّ أي نبي أو مؤمن في عمله فإن أصابع الاتهام سوف تتوجه إليه بأنه صاحب دنيا وليس من أهل الإيمان والآخرة.

❁ قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

(س) كيف يكون الصبر لله تعالى بقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾؟

(ج) ١- أن يجعل تحمله للأذى والمصائب لوجه الله تعالى، ولا يطلب بذلك رضى أحد أبداً.

٢- أن يستقيم على الحق حتى لقاء الله تعالى كما قال في محكم كتابه: ﴿وَاعْبُدْ

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣ ص٤٤٤.

(٢) من هدى القرآن: ج١٧ ص٧٠.

رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[١]، وإن الصبر ليس له حدٌّ معيّن من الزمن وينتهي كما يقول المبطلون واللاهون.

٣- التسليم لحكم الله وقضاءه بعد أداء الواجب، وهذا ما يبعث الاطمئنان والرضا في قلب المؤمن فلا يهتم بعدها إن عاش بيسر أم بعسر[٢].

سئل الإمام الحسين عليه السلام ابن أخيه القاسم بن الحسن عليهما السلام قائلاً له: «كيف ترى الموت عندك؟ فأجاب القاسم عليه السلام: في سبيلك أحلى من العسل».

(س) لماذا التأكيد على الصبر؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وعليكم بالصبر، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه»[٣].

وقال عليه السلام: «من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع».

فبما أنَّ الإنسان مخلوق لعبادة الله تعالى كما قال في محكم كتابه: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[٤].

لذا فإن هذا الأمر لا يتحقق إلا بالصبر على المكاره التي يواجهها الإنسان خلال حياته، والصبر أحد السنن الإلهية التي جعلها الله في الإنسان للوصول إلى الكمال والنضج، قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾**[٥].

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ❖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ❖ عَلَى

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة: الكلمات القصار ح٨٢.

(٤) الذاريات.

(٥) هود: ٧.

﴿الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ .

(س) قيل إن المراد من الناقور هو البوق الذي سَيُنَفخُ فيه يوم القيامة، لإماتة الخلائق وجمعهم، فلماذا ذكرته الآية بهذا الوصف دون غيره؟

(ج) الناقور مأخوذة من النقر، يعني الدق المؤدي إلى الثقب، ومنها سمي المنقار، وهو ما تملكه الطيور لدق الأشياء وثقبها، فأطلق اسم الناقور على البوق أو الصور الذي سينفخ فيه يوم القيامة وذلك لأن صوته سوف يخرق أذن الإنسان وينفذ إلى دماغه[1].

(س) أي نقرة هذه هل هي الأولى أم الثانية؟

(ج) قال العلامة المدرسي: الأقرب حمل النقر على الإطلاق، فإن كلا النفختين عسيرتان على الكفار، فالأولى تسلب حياتهم، والثانية تبعثهم للوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، والثانية لا شك سوف تكون أعسر من الأولى إذ يستتبعها العذاب الشديد[2].

۞ **قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ❖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ .**

(س) لماذا يكون يوم القيامة عسيراً على الكافرين؟

(ج) لأنهم يناقشون في الحساب ومن نوقش في الحساب هلك، ويعطون كتابهم بشمالهم، وتسود وجوههم، قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**[3]، ويحشرون زرقاً قال تعالى: **﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ**

---

(١) تفسير الأمثل: سورة المدثر الآية.

(٢) من هدى القرآن: الآية.

(٣) آل عمران: ١٠٦.

الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[١].

﴿ قال تعالى: **﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ❖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾**.

(س) ما المراد من الوحدة التي تقصدها الآية المباركة؟

(ج) كلمة (وحيداً) يمكن أن تكون وصفاً للخالق، ويمكن أن تكون وصفاً للمخلوق.

وهناك احتمالات للمعنى المقصود في وصف الخالق:

١- ذرني وحدي معه فإني كاف في الانتقام منه.

٢- خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد[٢].

أما عن وحدانية الإنسان فإنه:

١- كان وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ثوب ولا ذرية، فلما جاء إلى الدنيا وهب الله له الكثير حتى قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾**.

٢- ثم إنه وحيد في هذه الحياة لا أنيس يطمئن به ويرتاح إليه إلا الله تعالى، قال عز وجل: **﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**، وكل ما يراه سوى الله تعالى فهو سراب ولهو، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**[٣].

٣- ثم يخرج من هذه الدنيا وحيداً عرياناً وقد ترك ما جمع من الأموال

---

(١) طه: ١٠٢، وتتكلم جوارحهم فيفتضحون على رؤوس الأشهاد.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٨٧.

(٣) النور: ٣٩.

والكنوز، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[1].

ولكن الذي يأخذه معه هو كتابه لا غير، فإذا كان محسناً يرى فيه الحسنى وإن كان مسيئاً يجد النار وبئس القرار.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[2].

٤- وهناك وحدة مزيفة باطلة يطلقها الإنسان الجاهل المغرور على نفسه، كأن يقول بأنه وحيد قومه ليس هناك نظير وشبيه له في القوة والكمال، كما كان الوليد بن الغيرة يدعي ذلك، قال الفخر الرازي: «وكان يلقَّبُ بالوحيد وكان يقول أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب نظير، ولا لأبي نظير»[3].

۞ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً﴾.

(س) ما هو المال الممدود ولمن جُعلت؟

(ج) ذكر المفسرون بأن الآية والتي تليها نزلت في الوليد بن المغيرة، قيل إن أمواله بلغت حداً من الكثرة بحيث ملك الإبل والخيل والأراضي الشاسعة ما بين مكة والطائف.

والمال الممدود هو الكثير والمتنامي، وكان للوليد بستان في الطائف لا ينقطع خيره في شتاءٍ ولا صيف[4].

---

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) الإسراء: ١٤.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٩٨.

(٤) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٨٧.

❁ قال تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾.

(س) لماذا وصفت الآية المباركة البنين بالشهود؟

(ج) ١- كانوا حضوراً معه بمكة لا يفارقونه لأنهم أغنياء فما كانوا محتاجين إلى مفارقته لطلب كسب أو معيشة، لذا كان أبوهم الوليد مستأنساً بهم لحضورهم معه.

٢- كانوا يشهدون معه المجامع والمحافل[(١)].

❁ قال تعالى: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾.

(س) قال الفخر الرازي: «أي وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه»، فما أهمية ذلك؟

(ج) السمعة العالية والمقام الطيب في المجتمع، من اللذائذ الكبرى التي يسعى الإنسان في الحصول عليها، وهي الشهوة المفضلة عنده حيث لا يتنازل عنها حتى إلى أعز الناس إليه، يذكر التاريخ بأن هارون الرشيد قال لولده المأمون مشيراً إلى كرسي الخلافة: «لو نازعتني الذي أنا فيه لأخذت الذي فيه عيناك»، وقد أشار القرآن الكريم إلى شهوة التفاخر والجاه في الكثير من الآيات.

قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[(٢)].

وقال عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾[(٣)].

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص١٩٨.

(٢) التكاثر: ١-٢.

(٣) الحديد: ٢٠.

❁ قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ❖ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾.

(س) لماذا لم يكتف الوليد بن المغيرة بما أعطي من الخير الدنيوي الكثير بل كان يطلب الزيادة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؟

(ج) ١- لا يشبع الكافر من المال حتى لو أعطي ملك الدنيا، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال».

٢- تارة تكون الأموال الكثيرة عقوبة إلهية توجه للراغب فيها.

قال تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[1].

قال الإمام علي عليه السلام: «إن الدنيا كالشبكة تلتف على من رغب فيها»[2].

لماذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ولم يقل ويطمع أزيد؟

(ج) قال الفخر الرازي: إن لفظ (ثم) هنا معناه التعجب، كما تقول لصاحبك أنزلتك داري وأطعمتك ثم أنت تشتمني، ونظيره قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[3].

(س) هل كان يطلب الزيادة للدنيا أم للآخرة؟

(ج) قولان:

١- كان يرجو الزيادة في هذه الدنيا.

---

(١) التوبة: ٥٥.

(٢) ميزان الحكمة: المجلد ٣ ص٣٠٩.

(٣) الأنعام: ١.

٢- في الآخرة قيل إنه كان يقول: إن كان محمدٌ صادقاً فما خلقت الجنة إلاّ لي، كما قال تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾.

(س) ما السبب في توقف الزيادة؟

(ج) ١- إن زيادات الله سبحانه وتعالى وفق حساب دقيق عنده، قال تعالى: ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وإنه يوقفها على الكفار أحياناً للحفاظ على سلامة المجتمع الإنساني.

ولا يعطي شيئاً منها بصورة اعتباطية وإن كانت عديمة الثمن عنده، جاء في الحديث الشريف عن رسول اله ﷺ يقول الله عز وجل: «لولا عبدي المؤمن لعصبت رأس الكافر بعصابة من جواهر»[٢].

وعن رسول الله ﷺ: «لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة من ماء»[٣].

٢- العناد والكفر من أسباب توقف نعم الله تعالى بينما الإيمان والتقوى يبعث على الزيادة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ❖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ❖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[٤].

---

(١) الكهف: ٣٦.

(٢) البحار: ج٧٢ ص٥١.

(٣) البحار: ج٧٧ ص٧٩.

(٤) نوح: ١٠-١٢.

(س) ما هي الآيات التي كان الوليد معانداً فيها؟

(ج) جميع الآيات التي توصل إلى ربه عز وجل وما أكثرها، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[١].

ومن الآيات التي كان معانداً لها هو عدم إيمانه بالشواهد التي تدلّ على عظمة الله عز وجل وعدله وصحة النبوة وصحة البعث، فكان محارباً لأصول الدين ومنكراً لها. وكفره أفحش أنواع الكفر حيث كان يعرف صحة هذه الأمور بقلبه ولكنه ينكر بلسانه[٢].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ ولم يقل كان لله عنيداً؟

(ج) يفيد أن تلك المعاندة كانت مختصة بآيات الله تعالى وبيناته، وتقديره: إنه كان لآياتنا عنيداً لا لآيات غيرنا، وما كان ينبغي له ذلك وأنا المتفضل عليه في كل صغيرة وكبيرة[٣].

(س) كيف أصبحت عاقبة الوليد الدنيوية بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾؟

(ج) قيل ما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك[٤].

❁ **قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾.**

(س) هل سيكلف الوليد وأمثاله بصعود مرتفعات في نار الآخرة حتى الإرهاق؟

---

(١) يوسف: ١٠٥.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٠٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(ج) تمثيل العذاب بالصعود كناية عن المشقة الكبيرة وسوء الجزاء الذي سيواجهه نتيجة معاندته لآيات الله عز وجل، وهذا العذاب ليس في الآخرة فقط، بل يشاهده في الدنيا أيضاً حيث أنه شاهد النقصان في حياته بفقد أولاده وأمواله، وسيجد عذاباً أكبراً في نار جهنم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «صعد جبل في النار من نحاس يحمل عليه (الكافر) ليصعده كارهاً، فإذا ضرب بيديه على الجبل ذابتا حتى تلحق بالركبتين، فإذا رفعهما عادتا، فلا يزال هكذا ما شاء الله»[١].

وربما يراد من الآية تزايد العذاب الأخروي لمثل هذه الشريحة المنحطة من المجتمع، وإنَّه في تصاعد مستمر، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بسابقتها؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتبين صورة من صور عناده، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾، أنه فكر وقدّر تقديراً ما ألعنه وأفظعه حيث اتهم القرآن والإيمان به بأنه نوع من السحر.

(س) هل التفكير محظورٌ، فلماذا ذمته الآية المباركة؟

(ج) التفكير حسن ومطلوب من الإنسان حيث دعا القرآن الكريم إليه كثيراً عبر آياته حيث قال: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

---

(١) تفسير البصائر: ج٥٠ ص٤٣٠.
(٢) الإسراء: ٩٧.
(٣) الأنعام: ٥٠.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، ولكن بشرط أن يكون في طريق الحق والصلاح، وأما إذا كان في الطريق المعاكس لمناهج الإيمان والعقيدة الصالحة فهو مذموم ومرفوض، وتفكر الوليد بن المغيرة كان من هذا النوع.

(س) ما الفرق بين التفكير والتقدير؟

(ج) التفكير هو تقليب وجوه الرأي، والتقدير هو تحويل التفكير إلى خطة في الذهن ثم التصميم على تطبيقه[٢].

(س) ماذا فكر الوليد وماذا صمم؟

(ج) كان الرجل يهوى أن يقول شيئاً في أمر القرآن لكي يبطل دعوته ويرضي به قومه المعاندين ففكر فيه أيقول: إنه شعر أو كهانة أو أسطورة، أخيراً قدّر أن يقول: سحرٌ من كلام البشر لأنه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه[٣].

(س) لماذا قُوبِل تفكيره باللعن والعذاب بقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؟

(ج) لقد ذمّ الله سبحانه وتعالى تفكيره الباطل الذي كان يطلب من وراءه مواجهة الحق وطريق الصلاح.

وقال الرازي في تفسيره:

١- إنه تعجيب من قوة خاطره، حيث لا يمكن القدح في أمر النبي ﷺ بشبهة ألعن من هذه الشبهة لأجل الوصول إلى هدفه المشؤوم.

٢- إنه ثناء عليه على طريقة الاستهزاء، بأن هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط والبطلان.

---

(١) الأعراف.

(٢) الميزان: ج٢٠ ص٨٧.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٠٠.

وقال العلامة الطباطبائي: «إنه دعاء عليه على ما يعطيه السياق، كقوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1]».

(س) لماذا تكرر اللعن، حيث قال: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؟

(ج) ١- إن تكرار اللعن في الآيتين دليل على دهاء الوليد في تفكيره الشيطاني، وحسن اختياره للتهمة التي قد تُؤثر في الجهلاء وتبعدهم عن النبي محمد ﷺ، حيث اتهم القرآن بالسحر والنبي ﷺ بالساحر، وإنهم كانوا يحذرون السحر لكونه يفرق بين المرء وأهله، أو يجمع الواحد والآخر[2].

٢- تكرار اللعنة بالقتل عليه دلالة على استحقاقه ضعفاً من العذاب، الأول على عناده الآيات الربانية، والآخر على اتباعه هواه[3].

❁ قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾.

(س) ما المراد من النظر في الآية المباركة؟

(ج) الأقرب أن النظر هو تشغيل الفكر والبصر في جميع جوانب التطبيق لأجل الوصول إلى الهدف المنشود، دون خلل ونقص وفشل.

قال العلامة الطباطبائي: «أي ثم نظر بعد التفكير والتقدير نظر من يريد أن يقضي في أمرٍ سئل أن ينظر فيه (يرى مدى نجاحه ووصوله إلى الغاية المطلوبة»[4].

وفي تفسير البصائر قال: «أي نظر في وجوه قومه، ليرى رأيهم أيضاً بالإضافة إلى رأيه الشيطاني الماكر، فإلى جانب فرعون كان هامان وجنود كثيرون، وإن وراء

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) الفخر الرازي: ج٣٠ الآية.

(٣) تفسير من هدى القرآن: ج١٧ ص٨١.

(٤) تفسير الميزان: الآية.

الفساد الذي ينشر اليوم بمختلف الأساليب والصور الخبيثة هناك خبراء يهود وأياد كافرة خبيثة.

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ❖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾.

(س) ما الفرق بين العبس والبسر؟

(ج) العبس: هو تقطيب الوجه، البسور: بدء التكرّه في الوجه.

(س) لماذا تقطب وجه الوليد وظهر التكرّه فيه بعد تفكيره وتقديره ونظره؟

(ج) لا يستبعد أن الوليد قد وخزه ضميره بعد تفكيره وتقديره ونظره قبل أن يعلن عداءه الصارخ ضد الحق، لهذا تقطب وجهه وتكره، وهذا يدل على:

١- إنه لو كان معتقداً صحة ما فكر وقدّر لظهر الانبساط والفرح في وجهه من تفكيره، ولكنه لم يفرح به علمنا أنه كان يعلم ضعف تلك الشبهة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»[1].

٢- إنه تألم من تفكيره ونظره لأنه يعرف بأنه كذب وباطل، حيث أن أمر السحر الذي اتهم به القرآن والنبي صلى الله عليه وآله مبني على الكفر بالله عز وجل والأفعال المنكرة، بينما الجميع يعلم بأن النبي صلى الله عليه وآله يدعو إلى الله تعالى، وإنه الصادق الأمين، فكيف يليق به السحر[2].

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ❖ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

(س) عن أي شيء أدبر الوليد؟

---

(١) نهج البلاغة: ح٢٦ ص٤٧٢، إعداد: صبحي الصالح.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٠١.

(ج) ١- أدبر عن الحق الذي كان يعرفه في قلبه كاملاً، والذي كان يتجلى له كلما كان يفكر في الوقوف ضده.

٢- أدبر عن سائر الناس وذهب إلى أهله واستكبر على الحق ظلماً وعناداً عندما أطلق تهمته الكافرة للحق.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ولم يقل: وقال إن هذا..؟

(ج) قال الرازي: «إنما ذكره بفاء التعقيب وذلك ليتبين أنه لما ولى واستكبر على الحق ذكر هذه الشبهة الباطلة، وإنه لو لم يدبر ويستكبر على الحق ما كان يتهمه بالباطل»[1].

(س) ما المراد من كلمة (يؤثر) في قوله تعالى؟

(ج) ١- ينقل عن الآخرين، أي يؤخذ من القوى القادرة عليه من السحرة والشياطين ومنه قولهم: حديث مأثور عن فلان بن فلان.

٢- تميل إليه النفوس وتفضله على غيره.

۞ قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

(س) ماذا يقصد الوليد وأمثاله من هذا القول؟

(ج) يقصد أنه ملتقط من كلام غيره.

(س) كيف يتوضح لنا بطلان وسخافة قوله؟

(ج) لو كان الأمر كما قال: لكان عليه معارضة بكلامٍ مشابه، إذ إن اللغة واحدة، وقوة الأدب والبلاغة كانت عالية عند العرب آنذاك. ولكنه لا يستطيع هو

---

(١) المصدر السابق.

ولا أمثاله ولا جميع الإنس والجن أن يأتوا بآية واحدة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1].

(س) هل كان الوليد يعتقد بما قاله في القرآن؟

(ج) ذكر جميع المفسرين: بأنه لما سمع من النبي الأكرم ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، فاقشعرّ الوليد وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، قال سمعت من محمد كلاماً ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه يعلو ولا يعلى عليه. من هذا يُفهم بأن الذي ذكره هو على سبيل العناد والتمرد لا على سبيل شيء من الاعتقاد[2].

❁ قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ❁ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ❁ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾.

(س) ما المراد من الإصلاء في سقر؟

(ج) أي الإلزام فيها، قال في التبيان في قوله ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي ألزمه جهنم[3]، وصلى الكفار بالنار جعلها أكثر وأشد مساساً بهم.

ولعلّ في الآية إشارة إلى مسألة خلودهم فيها أبداً، دون أن يخفف عنهم شيء من عذابها.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا

---

(١) الإسراء: ٨٩.

(٢) الرازي: ج٣٠ ص٢٠٢.

(٣) التبيان: ج١٠ ص١٨٠.

يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[1].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: **﴿لا تُبْقِي ولَا تَذَرُ﴾** وقوله: **﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾**؟

(ج) قال العلامة الطباطبائي رحمه الله في قوله **﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾**: «أي لا تبقي شيئاً ممن نالته إلا أحرقته، ولا تدع أحداً ممن ألقي فيها إلا نالته، بخلاف نار الدنيا التي ربما تركت بعض ما ألقي فيها ولم تحرقه»[2].

قال تعالى: **﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلَّى﴾**[3]، وربما يكون المراد أنها لا تبقيهم أحياء ولا تتركهم يموتون، قال تعالى: **﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾**[4].

وأما جلود هؤلاء المعاندين الكافرين تبقى ما دامت النار باقية لكي توصل لهم العذاب الشديد، إذ لعلّ العظام واللحوم تحترق من شدّة العذاب ولكن الجلود تبقى وتبدّل كلما نضجت لتؤدي دورها في تعذيب أصحابها. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**[5].

❁ قال تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾.

(س) كيف تلوح للبشر؟

---

(١) فاطر: ٣٦.

(٢) الميزان: ج٢٠ ص٨٨.

(٣) المعارج: ١٧.

(٤) الأعلى: ١٣.

(٥) النساء: ٥٦.

(ج) ١- اللواحة من التلويح بمعنى تغيير اللون إلى السواد، فهي إذاً تغير لون البشر إلى السواد، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

٢- إنها تشير من بعد، قيل إنها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام، وهو كقوله ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾.

٣- وقيل إنها المهلكة، ألاح فلاناً أهلكه[١]، فهي المهلكة للبشر[٢].

۞ قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ❖ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾.

(س) هل يكفي (تسعة عشر) لسقر؟

(ج) إنه تعالى قال: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ولم يقل تسعة عشراً ملكاً، لذا فيمكن أن يكون المراد من الرقم:

١- تسعة عشر مجموعة من الملائكة.

٢- إن العدد المذكور هم بمثابة القادة والمدراء وتحت إمرتهم من الملائكة ما لا يدرك عددهم إلا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[٣].

٣- وقيل تسعة عشر صفاً، وقيل تسعة عشر صنفاً.

(س) أولا يدفع الرقم (١٩) البعض إلى السؤال والجهال إلى الاستهزاء والاستشكال؟

(ج) إذا كان البعض من المؤمنين، فالمؤمن لا يسئل ولا يفكر في السؤال تسليماً لإيمانه الكامل بالله تبارك وتعالى القادر القاهر العزيز الجبار وأما الكفار فيستهزؤن

---

(١) المنجد: مادة لوح.

(٢) من هدى القرآن: الآية.

(٣) من هدى القرآن: ج٧ ص٩٠.

ويتمسخرون ويدفعهم إلى ذلك كفرهم بكل الأمور البعيدة عن حواسهم المادية . . قال أبو جهل يوماً : «يا معشر قريش . . ! يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذّبونكم في النار تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، أفيعجز مائة رجل منكم عن رجلٍ منهم ؟»[١] .

وقال رجل من قريش يدعى أبا الأشد : «يا معشر قريش ! لا يهولنكم التسعة عشر ، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة ، وبمنكبي الأيسر تسعة ، فأنزل الله الآية»[٢] .

(س) كيف يؤمن المؤمن بالأمور الأخروية ولم يحصل له علم كامل بها ؟

(ج) لا يحتاج المؤمن إلى أن تبصر عينه الملائكة ولا أن يلمس جلده نار الآخرة لكي يؤمن بذلك ، إن امتلاكه للفطرة السليمة والعقل الناضج البعيد عن الأهواء والكدورات ، ثم وجود الآيات والحجج ، وشواهد سنة الجزاء في التاريخ ، وإيمانه الفطري والعقلي بضرورة وقوعه يدفعه إلى الإيمان الكامل بيوم القيامة ، وإن عدم مجيء يوم القيامة يدعوا إلى العبثية الكاملة في جميع الأمور ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[٣] .

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ .

(س) لماذا جعل الله تبارك وتعالى أصحاب النار ملائكة ؟

(ج) قال الرازي في تفسيره :

١ - ليكونوا بخلاف جنس المعذبين ، لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة ، وإن الله

---

(١) أسباب النزول : للسيوطي ص٢٢٤ .

(٢) التفسير الكبير : ج٣ ص٢٠٤ .

(٣) من هدى القرآن : الآية ، الدخان : ٣٨ .

تعالى بعث الرسول ﷺ إلينا وهو من جنسنا لتكون له رأفة ورحمة بنا .

٢- إنهم أبعد الخلق عن معصية الله تعالى وأقواهم على الطاعات الشاقة ، قال تعالى : ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١) .

٣- إن قوتهم أعظم من قوة الجن والإنس(٢) .

(س) كيف تطيق الملائكة البقاء في النار؟

(ج) بما أن مدار القول في إثبات يوم القيامة ، هو أنه تعالى قادرٌ على كل الممكنات ، وإنه تعالى يبقي الإنسان المعاند في العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموت ، فكذلك قادرٌ على إبقاء الملائكة في النار من غير ألم(٣) .

❁ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

(س) كيف صار عدد الملائكة المختصين بالنار فتنةً وامتحاناً للكفار؟

(ج) ١- إنهم يستهزؤن بهذا العدد ، ويتساءلون لِمَ لم يكونوا عشرين ، وإنه لو كان العدد غيره لتساءلوا أيضاً .

٢- يقولون : هذا العدد القليل كيف يكونون وافين وقادرين على تعذيب أكثر خلق العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى يوم القيامة ، وأما أهل الإيمان فلا يلتفتون إلى هذين السؤالين(٤) .

---

(١) التحريم : ٦ .
(٢) التفسير الكبير : ج٣٠ ص٢٠٤ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر .

❁ قال تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

(س) بماذا يستيقن أهل الكتاب عندما يعرفوا بأن عدد ملائكة النار تسعة عشر؟

(ج) إنهم يستيقنون بالقرآن النازل على نبينا محمد ﷺ حيث يجدون ما أخبرنا به من عدة أصحاب النار موافقاً لما ذُكر فيما عندهم من الكتاب.

❁ قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾.

(س) ما تأثير هذه الحقيقة في ازدياد إيمان المؤمنين؟

(ج) لا شك أن الإيمان الموجود في قلوب المؤمنين له ثبات ورسوخ وتأييد من قبل الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]، ولكن مع هذا يتأثر المؤمن بالمجتمع الذي يعيش فيه فإذا كان المجتمع صالحاً يزداد صلاحاً وإذا كان فاسداً يتأثر بذلك مقداراً ما، فالمؤمنون هنا عندما يجدون أهل الكتاب قد صدقوا بالقرآن النازل على نبينا محمد ﷺ فإنهم بذلك سيزدادون إيماناً[2].

❁ قال تعالى: ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

(س) ما فائدة قوله تعالى: ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ بعد أن أثبت زيادة إيمان المؤمنين واستيقان أهل الكتاب؟

(ج) إن المطلوب إذا كان غامضاً دقيق الحجة كثير الشبهة، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك. فالمقصود من إعادة الكلام هو أنه حصل

---

(١) محمد: ١٧.

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

لهم يقين جازم، بحيث لا يحصل عقيبه شك ولا ريب[١].

(س) كيف يتمكن المؤمن إزالة الريب من إيمانه ونفسه؟

(ج) يمكن ذلك عن طريق تطهير القلب من رواسب الشك والتردد، ولا يتطهر القلب إلا إذا أخرج منه حب الدنيا، جاء في الحديث الشريف: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وفي الآية المباركة عندما يرى المؤمنون صورة من التطبيق العملي والفعلي للإيمان فإنهم بذلك سوف يزدادون إيماناً بعيداً من الريب والشك، حيث إن التطبيق العملي للإيمان يكون أبلغاً في النفوس.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاةً لنا بغير ألسنتكم».

۞ **قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾.**

(س) ما هو هدف المنافقين والكافرين من استشكالهم على عدد الملائكة بقولهم: **﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾**؟

(ج) إنهم لا يقصدون من الاستشكال البحث عن الحقيقة، بل يستهزئون ويسألون لأجل الهروب من الإيمان ومن ثم إيجاد الزعزعة والتشكيك بين المؤمنين، ولو أجابهم القرآن عن سرّ هذا العدد لاختلقوا سؤالاً آخر[٢].

(س) الكفار لا يؤمنون بالقرآن بشكل كامل، كيف قالوا: **﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾**؟

(ج) المنافقون كانوا في الظاهر يعترفون بأن القرآن من عند الله، فلا شك أنهم

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٠٧.

(٢) من هدى القرآن: ج١٧ ص٩٥.

قالوا ذلك باللسان، أما الكفار فقالوه على سبيل الاستهزاء أو على سبيل الاستدلال بأن القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام[(١)].

❁ **قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاء وَيَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾.**

(س) كيف يضل الله البعض ويهدي البعض؟

(ج) إن الهداية الإلهية والإضلال الإلهي مبنيان على أساس قاعدة ربانية ثابتة، وهي مرتبطة بشكل كامل مع عمل الإنسان وسعيه، وهو قوله تعالى: **﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.

وقوله تعالى: **﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** وقوله: **﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**، فالمعاندون والذين جعلوا في قلوبهم مرض لا يستحقون إلا الضلال، والمؤمنون المسلمون لأمر الله عز وجل الساعون نحو الخيرات لا يستحقون إلا الهداية.

❁ **قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاّ هُوَ﴾.**

(س) ما فائدة مجيء قوله تعالى؟

(ج) ١- الآية المباركة جاءت لترد القوم الذين استقلوا العدد (عليها تسعة عشر) فجاء قوله: **﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاّ هُوَ﴾** ليقول لهم إن كان هؤلاء تسعة عشر، إلا أن لكلّ واحد منهم من الأعوان والجنود ما لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يعز عليه تتميم الخزنة إلى عشرين، ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو يعلمها.

٢- إن جنود الله تعالى ليسوا في الآخرة فقط بل هم في الدنيا أيضاً، بل كل ما في السماوات والأرض هو جندي مطيعٌ لله تبارك وتعالى، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ**

---

(١) التفسير الكبير: ص٢٠٧.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١] . فلذا فليخاف الكفار عقاب الله تعالى وعذابه وإنه ليس في الآخرة فقط .

٣- لا يحتاج الله سبحانه وتعالى في تعذيب الكفار إلى هؤلاء الخزنة ، بل إنه قادرٌ على أن يخلق الآلام فيهم ، دون مؤثر خارجي ، فلو أنه قَلَبَ شعرةً في عين الكافر أو سلّط الألم على عرقٍ واحدٍ من عروقه لكفاه ذلك بلاءً ومحنة[٢] .

(س) لماذا لا يعلم عدد الملائكة إلا الله سبحانه وتعالى؟

(ج) ١- لأنهم غيب ، ولا يعلم الغيب إلا هو تبارك وتعالى .

٢- إن عدد الملائكة كثيرٌ جداً ، ولا يستطيع أحد عدّهم ، وإنه تعالى يخلق في كل لحظة من الملائكة ما لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى لهذا ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ .

۞ **قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ .**

(س) الضمير في قوله (وما هي) إلى ماذا يعود؟

(ج) ١- يعود إلى ما تقدم من قوله : (عليها تسعة عشر) ، والمعنى أن البشر لا سبيل لهم إلى العلم بجنود ربك وإنما أخبرنا عن خزنة النار أن عدتهم تسعة عشر ليكون ذكرى لهم يتعظون بها .

٢- إنه عائدٌ إلى سقر ، والمعنى وما سقر وصفتها إلا تذكرةً للبشر .

(س) كيف قال : إن عدد خزنة جهنم وسقر هي ذكرى للبشر ، بينما المتذكر والمنتفع بالآيات هم أهل الإيمان فقط ؟

---

(١) الفتح : ٤ .

(٢) التفسير الكبير : ج٣٠ ص٢٠٨ .

(ج) كما أن القرآن الكريم هو (هدى للناس) ولكن المنتفعون به هم المتقون فقط، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ثم إن الذي يؤمن بمقدار من الغيب يؤمن بالمقدار الآخر، ومن لا يؤمن بقليله لا يؤمن بكثيره.

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾.

(س) لماذا جاء القسم بالقمر والليل والصبح وما علاقته بأصل الموضوع؟

(ج) يربط القرآن الكريم في كثير من آياته بين التفكير في الطبيعة والإيمان بالحق، ذلك أن القرآن ينطق بسنن الله تعالى في الخلق، والمخلوقات بدورها تجسد آيات الله في كتابه الشريف، وهذه الأقسام الثلاثة تتناسب بشكل دقيق مع نور الهداية الإلهية، حيث يشير القمر إلى النور الساطع الذي يمتلكه القرآن الكريم وأنه يهدي إلى الحق والصواب والخير، وإن إدبار الليل يشير إلى استدبار الظلمات (الشرك) وفشله، بينما طلوع الصباح يشير إلى طلوع الحق وانتصاره على الباطل.

(س) لأي شيء جاء الإنكار في قوله (كلا)؟

(ج) ١- إنه إنكار لإيمان الكفار والمعاندين، إنهم لا يتذكرون بما أرسله الله إليهم وذلك لكفرهم بالحق واستحبابهم للدنيا على الآخرة.

٢- ويمكن أن تكون (كلا) ردعاً لقوله في القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) البقرة: ١-٢.

فيكون المعنى: ليس كما قال، أقسم بكذا وكذا إن القرآن لإحدى الآيات الإلهية الكبرى إنذاراً للبشر.

٣- ويمكن أن يكون إنكاراً لقولهم بأنهم يمكنهم دفع خزنة جهنم وغلبتهم[١].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾.

(س) ما المراد من الآية المباركة؟

(ج) ١- قيل فيها إشارة إلى سقر بأنها من أكبر النذر للناس، وإنها من أحد كُبَر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية أعاذنا الله منها.

٢- وقيل آيات القرآن الكبر في الوعيد، وهو قريبٌ لسياق الآيات.

❁ قال تعالى: ﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾.

(س) كيف تتم عملية الإنذار؟ ومن هو النذير؟

(ج) ١- تعريف الطرق الضالة.

٢- بيان العواقب السيئة لمن يسلكها.

٣- بيان طريقة تجنّبها.

والنذير قيل هو القرآن الكريم وقيل هو النبي الأعظم ﷺ.

والإنذار لجميع البشر سواء اتبعوا الحق أم لم يتبعوا.

❁ قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

(س) ماذا يمكن فهمه من الآية المباركة؟

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩١.

(ج) عند النظر إلى الآية المباركة يتضح للجميع أن الإسلام فتح باب الاختيار بمصراعيه أمام الناس في تقبل الهداية وتركها، فليس هناك إجبار لأحدٍ على الأخذ بالإيمان أو على ترك الكفر.

(س) لماذا عبّر القرآن الكريم عن الإيمان بالتقدم، وعن الكفر بالتأخر؟

(ج) قال العلامة الطبرسي ﵀: «وقيل إنه سبحانه عبّر عن الإيمان والطاعة بالتقدم لأن صاحبه متقدم في العقول والدرجات، وعن الكفر والعصية بالتأخر لأنه متأخر في العقول والدرجات»[1].

(س) هل هناك أمور أخرى يحصل فيها التقدم والتأخر عدا الإيمان والكفر؟

(ج) ١- الجنة والنار، فمن أخذ بالهداية وعمل بالأوامر الإلهية سوف يتقدم نحو الجنة ويتأخر عن النار.

٢- محبة الرسول وأهل بيته المعصومين الطاهرين.

عن الإمام علي بن موسى الرضا ﵇ قال: «كل من تقدم إلى ولايتنا تأخر عن سقر، وكل من تأخر عن ولايتنا تقدم إلى سقر»[2].

٣- التقدم والتأخر الحضاري في الدنيا.

المسلمون الأوائل تقدموا وانتصروا على أعدائهم بسبب تمسكهم وتطبيقهم لأوامر الله تعالى، بينما اليوم في تراجع مستمر وتأخر وذلّ وذلك لتركهم القرآن الكريم.

قال النبي الأكرم ﷺ: «القرآن هدىً من الضلالة، وتبيانٌ من العمى،

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩٠.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩١.

واستقالةٌ من العثرة، ونور من الظلمة، وضياءٌ من الأحزان..»[١].

❁ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.

(س) لماذا أشارت الآية إلى النفس بأنها مرهونة، ماذا أخذت لتعطيه حتى تفك وتطلق؟

(ج) إن الله سبحانه وتعالى على كل نفس حق العبودية له والعمل الصالح، لذا فهي رهينة ومحفوظة عند الله حتى توفي دينها وتؤدي حق الله تعالى، فإذا آمنت بالله وعملت صالحاً فُكّت وَأُطلقت.

(س) ماذا نفهم من الآية المباركة؟

(ج) ١- إن مصير الإنسان وعاقبته بيده، يمكن له اختيار الجنة أو النار وإنه غير مجبور على الطاعة والمعصية.

٢- الخلق جميعاً سواسية أمام الله تبارك وتعالى بدون تميز بين أبيض وأسود، أو ذكر وأنثى أو عربي وأعجمي، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾.

٣- إذا أدى الإنسان حق عبوديته لله تعالى وعمل صالحاً فإنه سيرى الخير في هذه الدنيا والآخرة، إذ يمكن للإنسان فك الرهن الذي عليه في هذه الدنيا بإيمانه وعمله الصالح، وإذا لا يفكها كما أمر الله عز وجل فإنه سيرى السوء والأذى في حياته الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٢ ص٢٦.

(٢) الشورى: ٣٠.

❁ قال تعالى: ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾.

(س) من هم أصحاب اليمين؟

(ج) قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن الإمام الباقر عليه السلام فقال: «نحن وشيعتنا أصحاب اليمين وكل من أبغضنا أهل البيت فهم مرتهنون»[(١)].

وأصحاب اليمين كما يذكر القرآن الكريم هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم يوم القيامة، بما كانوا يملكون من أعمال صالحة وإيمان راسخ وإذا كانوا يمتلكون شيئاً من الذنوب الصغيرة فإنها تمحى بالحسنات، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[(٢)].

وفي الكشاف: عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه فسّر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها. وهذا مصداقٌ من مصاديق أصحاب اليمين.

❁ قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ ❖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

(س) لماذا التساؤل عن المجرمين؟

(ج) ١- إنه يزيد المؤمنين لذةً بالنعم المادية والمعنوية التي هم فيها، وذلك عندما يطلعون على الوضع الأليم لأصحاب اليمين.

٢- إن هذا الخطاب المستقبلي مفيدٌ للمؤمنين اليوم إذ يحذرهم من مغبة ما سلكه المجرمون من أعمال أدت بهم إلى سقر.

(س) أولا يتألم المجرمون من هذا السؤال؟

---

(١) تفسير القرطبي: ج١٠ ص٦٨٧٨.

(٢) النساء: ٣١.

(ج) لا شك أنهم سيتألمون وسيجدون الذلة والخزي منه وهذا استحقاقهم كما كانوا يؤلمون المؤمنين في الحياة الدنيا دون أن يسمح الله عز وجل لهم بذلك، بينما في الآخرة يُسمح للمؤمنين أن ينظروا إلى حال المجرمين في جهنم ليزدادوا لذّة ورضىً وليزداد الكافرين خزياً وعذاباً.

(س) كيف يسمع المجرمون وهم في سقر كلام أهل الجنة؟

(ج) يستفاد من قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ ومن آيات أخرى بأن الله تعالى يعطي لأهل الجنة ولأهل النار القدرة على مشاهدة البعض الآخر لكي يزداد أهل الجنة نعيماً وأهل النار عذاباً.

قال تعالى: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**[1].

❁ **قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ❖ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ❖ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ❖ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ❖ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.**

(س) لماذا ذكروا الصلاة أولاً؟

(ج) تلعب الصلاة دوراً مهماً وكبيراً في حياة الإنسان، فهي تدخل في كل الطرق والوسائل لأجل حفظ صاحبها من دخول سقر، لما لها من دور في منعه عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾**[2]، وإنها عمود الدين كما قال نبي الإسلام ﷺ، وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لمحمد بن أبي

(١) الأعراف: ٥٠.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

بكر: «واعلم يا محمد أنّ كلّ شيء تبعٌ لصلاتك، واعلم أنّ من ضيع الصلاة فهو لغيرها أضيع»[١].

وقال النبي الأكرم محمد ﷺ: «لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهنّ تجرأ عليه وأوقعه في العظائم»[٢].

(ج) يحاسب الكفار على الفروع كما يحاسبون على الأصول، لا سيما إذا كان الفرع يمثل هوية الإنسان الصالح، فمن ضيع هذه البطاقة المهمة فإنه لغيرها أضيع.

(س) هل يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؟[٣].

(ج) الآية المباركة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ تتحدث عن الشريحة المتلونة والمتقلّبة في المجتمع، الذين يأخذون بصبغة الدين متى ما استدعت الحاجة إليه، ويتركونه متى ما وصلوا إلى أهدافهم ومطامعهم الدنيوية، والذي عبر القرآن الكريم عنها بالمنافقين. فهؤلاء ليسوا أفضل من المجرمين، سكان سقر، الذين تركوا الصلاة والطاعة لله عز وجل بشكل كامل، وإنه تعالى لم يقل: الَّذينَ هُمْ في صَلاتهمْ سَاهُونَ، فلو كانت الآية هكذا لشملت أغلب المصلين حيث الأكثر يسهو في صلاته إلا المعصومون عليهم السلام.

❁ **قال تعالى: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.**

(س) ما الفرق بين المسكين والفقير؟

(ج) المسكين هو الذي لا شيء له، وهو أبلغ من الفقير حيث يسكنه الفقر عن

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٣ ص٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٣ ص٢٠٢.

(٣) الماعون: ٤-٥.

الحركة، وأما قوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر..﴾[١]، فإنه تعالى جعلهم مساكين بعد ذهاب السفينة، أو لأن سفينتهم غير معتد بها في جنب ما كان لهم من المسكنة[٢].

بينما الفقير تطلق على وجوه منها:

١- وجود الحاجة الضرورية: وهو عام للإنسان والموجودات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى الله﴾[٣].

وإلى هذا الفقر أشار قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[٤].

٢- عدم امتلاك اللوازم الكافية، قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٥].

٣- فقر النفس: قال النبي المصطفى ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً».

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته»[٦].

٤- الفقر إلى الله تعالى، وإياه عني بقوله عز وجل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ

---

(١) الكهف: ٧٩.

(٢) مفردات الراغب: سكن.

(٣) فاطر: ١٥.

(٤) الأنبياء: ٨.

(٥) النور: ٣٢.

(٦) نهج البلاغة.

مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١] .

(س) هل يدخل الإنسان النار بسبب عدم إطعامه للمسكين؟

(ج) قال الرازي في تفسيره: إن الآية تشير إلى الزكاة الواجبة، لأن ما ليس بواجب لا يجوز أن يعذّب الإنسان عليه.

ولعلّ الآية المباركة تشير إلى شدة قساوة قلوب أصحاب سقر، حيث كانوا لا يرحمون أشدّ الناس حاجة، حتى بالطعام القليل، فكيف تشملهم رحمة الله تعالى.

قال العلامة الطباطبائي ﵀: إطعام المسكين إشارة إلى حق الناس، كما أن الصلاة إشارة إلى حق الله عز وجل[٢] .

۞ قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ .

(س) ما المراد من الخوض؟

(ج) الخوض: هو الاشتغال بالباطل قولاً أو فعلاً والغور فيه ويطلق على الدخول والتلوث بالأمور، وتستعمل غالباً في الأمور الباطلة.

(س) كيف يعرف الإنسان أنه بعيد عن هذه الصفة الرذيلة التي توجب عذاب الآخرة؟

(ج) ١- إذا رأى نفسه مستقلاً في ذاته مؤمناً بربه، متوكلاً عليه ومطبقاً لأوامره ونواهيه، فإنه بهذا المنهج السليم سوف يمتلك جوهر العبودية الخالصة لله تعالى حيث لا يرى في قلبه وروحه وعمله أحداً سوى الله عز وجل.

قال الإمام أمير المؤمنين علي ﵇: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله

---

(١) القصص: ٢٤، مفردات الراغب: ص٦٤٢.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

حراً»[١].

وجاء في الحديث الشريف: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

٢- إذا كان مبتعداً عن المجالس التي تتعرض فيها آيات الله للاستهزاء.

٣- غير مشارك في مجالس الغيبة والاتهام واللهو واللعب وغير ذلك.

۞ قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

(س) لماذا قالوا: **﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾** ولم يقولوا بيوم القيامة أو الآخرة أو غير ذلك؟

(ج) لعلهم يشيرون إلى صفة هذا اليوم الذي هو يوم الجزاء الأكبر والمطالبة ويوم استرجاع الحقوق وأخذ الديون ويوم الحساب والشكوى إلى الله تعالى من الظالمين والمجرمين، ولهذا السبب **﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ❖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾**[٢].

۞ قال تعالى: ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾.

(س) ما المراد من اليقين وما الدليل على ذلك؟

(ج) ١- قيل المراد منه الموت لأنه أمرٌ لا شك فيه للمؤمن والكافر، وإذا شك الإنسان في شيء فلا يستطيع أن يشك بالموت، ولهذا قال تعالى: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾**[٣].

٢- وقيل إنه العلم، حيث ترتفع درجة المعرفة والعلم لدى الإنسان إلى درجة

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) عبس: ٣٤-٣٧.

(٣) الحجر: ٩٩.

عالية، بعد ارتفاع الأغطية والأغشية التي وضعها على عقله وقلبه عندها يعترف بشكلٍ كامل وعلمي على مسيرته الخاطئة في حياته الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ❖ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

(س) لماذا تأخر قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ على الخصال السابقة للمجرمين؟

(ج) ١- لكونه أفحش وأسوأ الخصال والصفات التي كانت لديهم.

٢- إنها الأساس في انحرافهم وفسادهم، فلو كانوا يؤمنون بالآخرة لخافوا الله تعالى ولما سلكوا الطرق الشيطانية الملتوية.

(س) ماذا يجب على الإنسان وهو لا يعلم ساعة رحيله من هذه الدنيا؟

(ج) ١- الرجوع إلى الله تعالى فإنَّ باب التوبة مفتوحٌ ما دامت الروح في البدن، فمهما صال وجال الإنسان في الباطل والشهوات، ثم تاب وأصلح نفعه ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام محذراً إياه من الموت: «فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة، قد كنتَ تحدّث نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك»[3].

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) نهج البلاغة: ك٣١ ص٤٠٠.

۞ **قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.**

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتنسف الوهم الموجود في عقول الكثير من الناس الذين يدّعون الإيمان والهداية، بأنهم على خير بفضل شفاعة الأولياء والأنبياء، فلهذا يقضون حياتهم في الموبقات والمعاصي ولا يدرون أنهم يسلكون الطريق المؤدي إلى الجحيم، وإنهم سوف لا يحصلون على شفاعة الشافعين، كما تبلور هذا الفهم لدى اليهود والنصارى في نظرية البنوّة وشعب الله المختار، قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[1].

وقال عز وجل: **﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..﴾**[2].

وكذلك انزلق الكثير من المسلمين في هذا الوادي بأوهام باطلة وتمنيات فارغة وهم تاركين أوامر الله ونواهيه. فقال البعض منهم: إن المسلمين خير أمة أخرجت للناس، وإن الله لا يعذب أمة نبيه محمد ﷺ، وقال البعض الآخر إن الأولياء يشفعون لنا من دون قيد وشرط.

بينما نرى الإمام الصادق عليه السلام يؤكد لأهل بيته وأصحابه في الساعة الأخيرة من حياته المباركة: «إن شفاعتنا لن تنال مستخفاً بصلاته».

(س) من هم الشفعاء يوم القيامة؟

(ج) ١- الشفيع الأول نبينا الأعظم محمد ﷺ حيث قال: «أنا أول شافع في

(١) البقرة: ١١١.

(٢) ٥: ١٨.

الجنة»[١].

٢- الأنبياء عليهم السلام، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يشفع الأنبياء في كل من يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً..»[٢].

٣- الملائكة: وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا»[٣].

٤- الأئمة المعصومون عليهم السلام وشيعتهم، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لنا شفاعةٌ ولأهل مودتنا شفاعة»[٤].

٥- العلماء والشهداء: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يشفع الشهيد في سبعين إنساناً من أهل بيته».

٦- القرآن: قال الإمام عليه السلام: «واعلموا أنه (القرآن) شافع مشفع»[٦].

٧- العبادة: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»[٧].

(س) قال الفخر الرازي في تفسيره: «واحتج أصحابنا على ثبوت الشفاعة للفساق بمفهوم هذه الآية وقالوا إن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدلّ على غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين» هل يمكن قبول هذا الكلام؟

---

(١) صحيح مسلم: ج٢ ص١٣٠.

(٢) مسند أحمد: ج٣ ص١٢.

(٣) مسند أحمد: ج٥ ص٤٣.

(٤) الخصال: للصدوق: ص٦٢٤.

(٥) سنن ابن ماجه: ج٢ ص١٤٤٣.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

(٧) مسند أحمد: ج٢ ص١٧٤.

(ج) قال الراغب في مفرداته: «فَسَقَ فلان أي خرج عن حجر الشرع، وإنه يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثم أخلّ ببعض الأحكام الأساسية في الشريعة الإسلامية ومصراً على الإتيان بها، ومستخفاً بحرمتها فكيف يمكن له أن تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة».

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أشد الذنوب ما استخفّ به صاحبه».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بصلاته».

ولكن ينال الشفاعة صاحب السيئات القليلة التي ارتكبها، بعد أن ضعف أمامها بسبب ضعف إيمانه، ويعلم بحرمتها ثم ندم عليها وتاب واستغفر الله تعالى، وقد وعد القرآن الكريم بتكفير هذه السيئات، قال تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾[1].

❁ **قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.**

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ**﴾ ولم يقل عن القرآن؟

(ج) وذلك لإنكار واستقباح الأمر منهم، إذ أن الواجب عليهم أن لا يعرضوا عنه، لأنه ليس بكلام غريب عنهم إنه تذكرة فقط، حيث الذي في القرآن موجود في أنفسهم وفطرهم وعقولهم، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❁ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ لذا فكان الجدير عليهم أن يستقبلوه برحابة صدر واحترام كبير وأن يشكروا الله عليه، قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) النساء: ٣١.

﴿وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾، لذا ففي قوله (التذكرة) نوع من الاعتراض الجميل لموقفهم اللئيم واللاإنساني من القرآن الكريم.

(س) ما هي صور الإعراض عن القرآن؟

(ج) ١- الجحود والإنكار.

٢- ترك العمل بما فيه من أوامر ونواهي.

٣- هجره وعدم الاستفادة من نوره من خلال ترك التدبر والتفكير في آياته، قال تعالى: **﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾**.

۞ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ❖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾.

(س) لماذا يهرب الكثير من الموعظة والتذكرة كالحمر الخائفة؟

(ج) يعيش الكثير حالة الصراع الداخلي عندما يواجهون كلام الحق والموعظة وذلك بسبب وجود عاملي السلب والإيجاب في نفوسهم، فمن جانب نرى العقل والفطرة تدعو صاحبهما إلى الأخذ بالإيمان ورفض الكفر والعصيان ومن جانب آخر تقف النفس الأمارة بالسوء والذنوب والمعاصي التي ارتكبها الإنسان وأقست قلبه في الجانب الآخر، لتصده عن قبول الحق والانصياع إليه، فبعد الصراع المرير بين الجانبين يختار الإنسان أحدهما، فلكي يسلك الإنسان طريق الصلاح والإيمان فلابدّ له من ثلاثة أمور كما ورد عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: ١- توفيقٌ من ربّه، ٢-واعظٌ من نفسه، ٣- قبولٌ ممن ينصحه.

(س) لماذا شبّه القرآن المعرضين عن التذكرة بالحمر المستنفرة؟

(ج) الإنسان الذي يهرب من الموعظة الحقة، ليس بأفضل من الحمار الخائف الفارّ من الأسد، فتشبيه الكفار المعرضين عن القرآن بالحمر الهاربة والفارة، شهادة عليهم بالبله الكبير، كما شبّه القرآن الكريم اليهود الذين أمروا بالتمسك والأخذ

بالتوراة، ولم يأخذوا به، بالحمير، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

وليس المثل بعيداً عنا إذا تركنا العمل بأوامر القرآن الكريم ونواهيه، وابتعدنا عن تعظيمه من خلال الاهتمام به ودراسته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤).

۞ **قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾.**

(س) ظاهرة الآية المباركة أن كل واحد منهم كان يطلب نزول كتاب سماوي خاص به، روي: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لا نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان، فما هو قصدهم من هذا الطلب، وهل هم صادقون في دعواهم؟

(ج) ١ - أغلب الذين وقفوا ضد الدعوة الإسلامية الحقة هم أصحاب المراكز والوجاهة والترف المادي، فلذا كانت في نفوسهم نوايا دنيوية منها حب الجاه

---

(١) الجمعة: ٦.

(٢) القمر: ١٧.

(٣) محمد: ٢٤.

(٤) المائدة: ١٦.

والمنزلة، حتى إن أحدهم كان يتمنى لو ينزل عليه جبرئيل عليه السلام ويبعثه نبياً.

٢- أنهم رفضوا واستكبروا على الله في عملهم هذا، حيث أنهم أظهروا قبول دعوته لو أنزل على كل واحد منهم كتاباً سماوياً مستقلاً وأما الدعوة بصورة جماعية وبكتاب واحد فإنه مرفوض وإن كان حقاً.

ولا شك أنهم كاذبون في طلبهم هذا، حيث كشف الله تعالى عما في قلوبهم من مرض، فقال: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾. ولهذا قال تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ**﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ**﴾ ولم يقل: كلا بل لا يؤمنون بالآخرة؟

(ج) الإيمان بالآخرة من الأمور الواضحة عند جميع البشر، حيث الكل يعتقد ويؤمن بها بصورة فطرية وعقلية وعلمية، فهذه الصور تدعو إلى حتمية مجيئها ووقوعها وحشر الناس فيها للحساب، ولكن ما فائدة هذا الإيمان الداخلي إذا لم يظهر على أرض الواقع والعمل، إذ إن إظهار الإيمان بالشكل التطبيقي هو الذي يخلق عند الإنسان الخوف من الآخرة، وإلا فلا نفع من الإيمان الداخلي الخالي من العمل، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[(١)].

(س) ما فائدة مجيء قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ**﴾؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتبين حقيقة ما في ضمير ونفوس الكفار الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، فإنهم ليسوا صادقين بما يقولون ويتهمون ويطلبون، فلو

---

(١) الصف: ٢.

كانوا يخافون الآخرة لحبسوا ألسنتهم عن كثير من الأمور.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اللسان سبعٌ لو خلي عنه عقر».

۞ **قال تعالى: ﴿كَلاّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ❁ فَمَنْ شَاء ذَكَرَهُ﴾.**

(س) ما هذه الـ(كلا) الثانية وما هذه التذكرة؟

(ج) إنه ردعٌ ثانٍ لاقتراحهم الاستكباري الباطل، الداعي إلى نزول كتابٍ سماوي لكل فردٍ منهم، الأمر لا يكون كما يتمنون، القرآن واحدٌ للجميع وأن عمله التذكرة فقط، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❁ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاء ذَكَرَهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاّ أَنْ يَشَاء اللهُ﴾؟

(ج) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاء ذَكَرَهُ﴾ فتح باب الاختيار الكامل أمام الإنسان بمصراعيه، لتقول له أنت حرٌّ في اعتقادك ومسيرتك إلى الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وأما قوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاّ أَنْ يَشَاء اللهُ﴾ فإشارة إلى وجود الله تبارك وتعالى بأنه الأول والأخير في كل الأمور والذي يُسبغ النعم على عباده دائماً وأبداً ولا يريد لهم إلا الخير والرحمة، فلذا على الإنسان أن يطلب منه تعالى التأييد والزيادة والثبات، فلولا نور التأييد الإلهي والجزاء الحسن المضاعف منه لما استطاع الإنسان البقاء والاستمرار في الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللهِ﴾.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، لكن أمرٌ بين أمرين».

قال المفضل: قلتُ: ما أمرٌ بين أمرين؟ قال: «مثل رجلٍ رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت

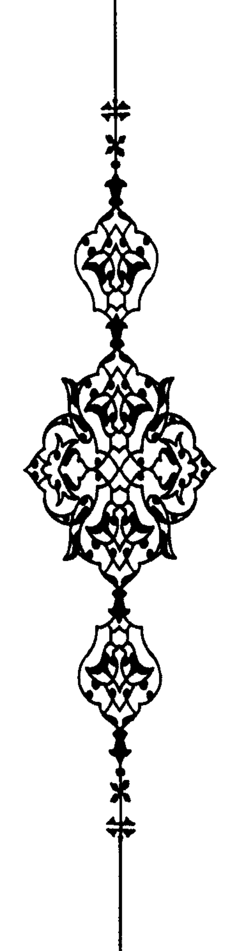
أنتَ الذي أمرته بالمعصية»[١].

وقال عليه السلام: «الله تبارك وتعالى أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقونه (يجبرهم)، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[٢] (فيفوض لهم الأمر).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لما سأله المأمون: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ قال عليه السلام: «الله أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم».
قال: مطلقون؟ قال: «الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥ ص١٧.
(٢) توحيد المفضل: ص٣٦٠.
(٣) بحار الأنوار: ج٥ ص٩٥.



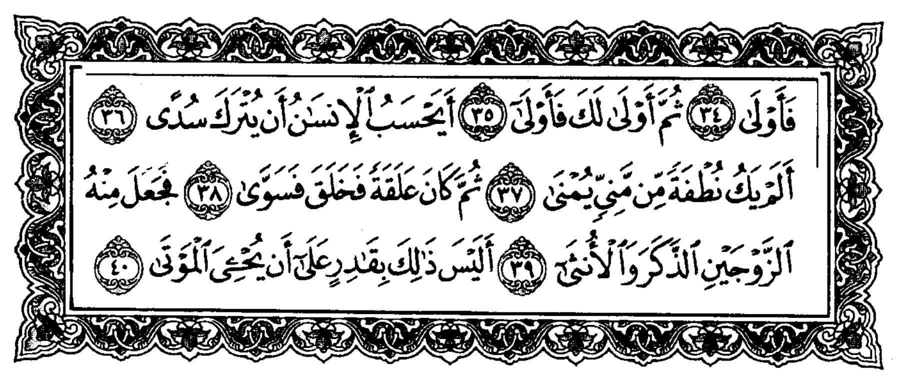
سورة القيامة

سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ





فضل السورة:

عن الإمام الباقر عليه السلام : «من أدمن قراءة (لا أقسم) وكان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه في قبره في أحسن صورة، تُبشّره وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان»[1].

مفردات السورة:

نسوي: من التسوية، أي جعل الشيء متساوياً ومماثلاً.

بنانه: البنان الأصابع، مفردها بنانة.

ليفجر: الفجر شق الشيء شقاً واسعاً، والفجور شق ستر الديانة.

لا وَزَر: لا ملجأ يلجأون إليه، والوزر ما يتحصَّن به من جبلٍ أو غيره.

باسرة: كالحة متغيّرة، والبسور هو إظهار العبوس قبل أوانه وفي غير وقته.

فاقره: هي الكاسرة لفقار الظهر، وقيل هي الداهية الكبيرة.

التراقي: العظام المكتنفة بالحلق.

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩٣.

راق: طبيب.

الساق: الرجل.

المساق: مصدر ميمي بمعنى السوق.

يتمطى: التمطي هو تمدد البدن من الكسل.

سدى: مهمل.

موضوع السورة:

تبتدأ السورة بالحديث عن الشريحة المنكرة ليوم القيامة، المستبعدة لإعادة إحياء الإنسان بعد تناثره في القبر، فلا يقسم ربّ العزة[1] تبارك وتعالى بالأمور العظيمة لأجل أمر واضح يقبله كل عقل سليم وفطرة صالحة خالية من الشوائب والآثام، حيث الذي يقدر على صنع شيء يقدر على صنع آخر مثله، وهذا ما يقوله العقل والعلم.

والله تبارك وتعالى كما خلق الأشياء قادرٌ على إعادتها أو خلق مثلها، قال تعالى: ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[3].

ثم تقول السورة بأن الكافر يعتقد في نفسه بأن الله عز وجل قادرٌ على إعادته، ولكن هدفه من وراء التكذيب بالبعث، هو لينفتح المجال له بالفسوق والفجور، وعندما تقوم الساعة يبدأ هذا الإنسان المسكين بالبحث عن محل ليتلجأ إليه وليفرّ من قبضة الله تعالى، تقول الآية (كلا لا وزر) ليس هناك ملجأ ولا مخبأ إلا الوقوف بين

---

(١) وقيل أن (لا) في بداية السورة زائدة.

(٢) ق: ١٥.

(٣) الأنبياء: ١٠٤.

يدي الله تعالى للحساب والمجازاة، وهناك أبحاث أخرى في السورة المباركة..

الأسئلة والأجوبة:

❁ قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ❁ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

(س) ذهب المفسرون إلى رأيين مختلفين في (لا) التي تصدّرت آيات السورة، فكيف يكون معنى الآية المباركة بكلا الاحتمالين؟

(ج) ١- قال البعض أن (لا) زائدة، فيكون المراد من قوله: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي أقسم بيوم القيامة، وجواب القسم محذوف يدلّ عليه الآيات التالية وتقديره (لَتُبعثُنَّ)، وإنما حذف للدلالة على تفخيم اليوم وعظمة أمره، قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾[1].

٢- وذهب البعض الآخر بأن (لا) هنا وبعدها نافية للقسم، فيكون المعنى:

أ) كأنه تعالى يقول (لا أقسم) بهذه الأشياء لإثبات المطلوب، فإن إثباته ظاهرٌ وواضحٌ فلا يحتاج إلى قسم.

ب) لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات المطلوب، لأن المطلوب أعظم وأجلّ من أن يقسم عليه بهذه الأشياء، ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه[2]، لعلّ هذا الرأي هو الأصح والله العالم.

❁ قال تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

(س) ما هي النفس اللوامة؟

(ج) ١- قيل أن المراد بها هي نفس المؤمن تلومه في الدنيا على المعصية والتثاقل في

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) التفسير الكبير: ص٢١٥.

الطاعة وتنفعه يوم القيامة، وأنه تعالى لم يقسم بها لعظمتها عنده، فليعرف المؤمن قدر نفسه، جاء في الحديث الشريف «قلب المؤمن عرش الله» و«المؤمن أشرف عند الله من الكعبة»[١].

٢- وقيل هي النفس الإنسانية أعم من المؤمنة الصالحة، والكافرة الفاجرة فإنها تلوم الإنسان يوم القيامة، أما الكافرة فتلومه على كفره وفجوره، وأما المؤمنة فتلومه على قلّة الطاعة وعدم الاستكثار من الخير[٢].

٣- وقيل إنها نفس الكافر تلومه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[٣].

(س) ما هو الواجب على المؤمن وهو يملك نفساً تدعوه إلى الخير وتلومه على المعصية؟

(ج) التجاوب معها فيما تدعو إلى الخير وتفعيلها بالصالحات والأعمال الحسنة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يجعل له واعظاً من نفسه فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً»[٤].

قال الإمام علي بن الحسين السجاد عليهما السلام: «ابن آدم! لا تزال بخير ما كان لك واعظٌ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك»[٥].

(س) طعن البعض في القول بأن المراد من النفس اللوامة هي نفس الإنسان المؤمن يوم القيامة لِمَ لَمْ تزدد من الصالحات، فقالوا:

---

(١) تفسير الأمثل الآية.

(٢) التفسير الكبير الآية.

(٣) يونس: ٥٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٦٤.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٦٤.

١- إن من يستحق الثواب لا يجوز أن يلوم نفسه على ترك الزيادة لأنه لو جاز منه لوم نفسه، لجاز من غيره أن يلومها عليه.

٢- يكون اللوم عند الضجر وضيق الصدر، وإنه لا يليق بأهل الجنة حال كونهم فيها، كما أشار.

٣- إن الطاعة ليس لها حدٌّ معيّن، فلو كان ذلك موجباً للوم لامتنع الانفكاك عنه، إذ يبقى اللوم ثابتاً وقائماً فكيف يمكن ردّ هذه الشبهات؟

(ج) تسقط هذه الشبهات، إذا لم نحمل اللوم على تمني الزيادة[١]، إذ ليس لها حد، وإن الجزاء الأخروي يعطى على مقدار السعي في الدنيا، قال تعالى: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى﴾**. وقال عز وجل: **﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.

۞ قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ❖ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

(س) ما هي المناسبة الموجودة بين القيامة والنفس اللوامة، حتى يجمع الله تعالى بينهما؟

(ج) هناك علاقة وارتباط وثيق بين القيامة ونفس الإنسان، حيث إنّ أحد دلائل القيامة هو وجود محكمة الوجدان داخل الإنسان[٢]، أو وجود النفس الإنسانية الصالحة، فإنها تصدق وتؤكد وتعترف بيوم القيامة وضرورة مجيئها، كما أن يوم القيامة هيئت نفسها لاستقبال الإنسان فهي خلقت لأجله، إذاً هناك علاقة وثيقة وترابط خلقي وأساسي بينهما.

وإذا زعم شخص بعدم وجود يوم القيامة فإنه يكذب نفسه وقلبه كاملاً، وذلك إذا كان له قلب وأما إذا كان ميتاً ولم يبق منه إلاّ الجسد فهو من الذين **﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى**

---

(١) تفسير الكبير: ج٣٠ ص٢١٦.

(٢) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٣٦.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]، فلا قيمة له ولا لرأيه إذ هو ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

وإنه تعالى ذكرهما معاً وذلك لأهميتهما ولعظمتهما معاً، وإنهما متلازمان متحدان أحدهما يدلّ على الآخر.

❁ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

(س) لماذا قال تعالى (أيحسب..) ولم يقل أيظن الإنسان ألن..؟

قال الراغب في مفرداته: الحسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن، لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلّب أحدهما على الآخر[٢]، إذاً فالظن أقوى بكثير من الحسبان، وإنه يُقارب العلم.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ولم يقل: أيحسب أن لن نحييه، أو لن نجمع لحمه وشعره مثلاً؟

(ج) ١- إن دوام وبقاء العظام أكثر من بقية أجزاء الجسد، ولذا تكون إعادته بعد أن يكون رفاتاً بعيداً في نظر عديمي الإيمان.

٢- إن العظام لها الدور الأساسي والكبير في بناء وتشكيل بدن الإنسان وإن اختلال جزء منها يؤدي إلى اختلال حركة وفعالية الإنسان بشكل كامل حيث إن فعالية أعضاء البدن تتم بواسطته.

فلذا لأهمية العظام ودورها في حياة الإنسان نرى الكفار يسألون ويستشكلون في

---

(١) البقرة: ٧.

(٢) مفردات الراغب: ص٢٣٤.

القدرة على إعادتها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1].

(س) ما هو الدليل على أن الله تعالى قادرٌ على إعادة العظام بعد تفسّخها وتناثرها؟

(ج) قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[4].

فالذي يقدر على صُنع شيء قادر على صنع آخر مثله، أو إعادته بعد بعثرته هذا ما يقوله العلم والعقل السليم.

۞ قال تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

(س) ما هو البنان، ولماذا أكّد تعالى على تسويته دون الإشارة إلى أجزاء الجسم الأخرى؟

(ج) البنان هي أطراف الأصابع وقيل الأصابع، وإنه تعالى أكد على تسويته لما في الأمر من دقة متناهية، حيث التعبير يشير إلى أنه تعالى يعيد خلقة العظام الصغيرة، ناهيك عن الكبيرة، فيرجعها إلى ما كانت عليه في خلقتها الأولى بشكلها الجميل والموزون، ثم يعيد عليها الخطوط التي كانت على أطرافها، والمعرفة لصاحبها دون غيره، وهذه من عجائب خلقة الله تبارك وتعالى، لذا فإنه تعالى أكد على إعادة هذا

---

(١) يس: ٧٩.

(٢) ق: ١٥.

(٣) الأنبياء: ١٠٤.

(٤) الروم: ٢٧.

القسم الظريف من جسم الإنسان، فكيف ببقية أجزاء الجسم[١].

❁ قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾.

(س) ماذا تقول الآية المباركة؟

(ج) الآية تبدأ بـ(بل) وهي إضراب لحسبانه وادعاءه الفارغ بعدم القدرة على جمع العظام، الأمر ليس هكذا، وإنه لا يدعي هذا من صميم قلبه وعقله وليس له أي علم يستند عليه في ذلك، إن هدفه من الحسبان الخاطئ هو الحصول على الفرصة الكافية والمجال الواسع للفجور والفساد، وإن (أمامه) ظرف مكان، استعير لمستقبل الزمان، والمراد به فجوره بما أمامه من عُمر وحياة، وقال الرازي: أي يكذب بما أمامه من البعث والحساب، لأن من كذّب حقاً كان فاجراً.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ولم يقل ليكذب أمامه؟

(ج) إن هدف الكفار من تكذيبهم في الآخرة هو لأجل الحصول على فرص الفجور والفساد، فالتكذيب هو مقدمة للفجور، فعدم الإيمان بالحشر هو لأجل الحفاظ والاستزادة من اللذّات المادية[٢].

❁ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾.

(س) هل يصح للإنسان أن يسأل عن زمن وقوع القيامة الكبرى؟

(ج) سأل البعض من النبي الأكرم ﷺ عن ذلك فجاء الجواب بأن علمه مختص بالله تبارك وتعالى، ولا حاجة للإنسان بمعرفة ذلك إذ لو عرف لما نفعه، ولكن الشواهد والأدلّة الكثيرة تدعو الإنسان إلى الإيمان بالآخرة بشكل قاطع

---

(١) تفسير الميزان: ج٢ سورة القيامة الآية.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٣١٨.

وكامل، وإنه قريب لأنه آت، فكل ما هو آت قريب، إذ إن النبي ﷺ ما كان يهتم بعلم الساعة ومتى تقوم بل كان يهتم بالعمل لأجلها والإنذار بها.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلاّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إلاّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

(س) كيف واجه الكفار مسألة الإيمان بيوم القيامة؟

(ج) أنكروه بطريقتين:

١- عن طريق الشبهة: والشبهات تتهاوى وتسقط عند الإيمان بالله تبارك وتعالى بأنه القادر والجبار والمهيمن وهكذا بالأسماء الحسنى الأخرى.

٢- عن طريق الشهوة: فيسألون استهزاءاً أو استنكاراً ولا يقصدون بذلك إلا لأجل الاسترسال في الشهوات والملذّات، وهذا ما حكاه بقوله عز وجل: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

(س) ما المراد من ﴿بَرِقَ الْبَصَرُ﴾؟

(ج) قال في التبيان: يقال بَرَقَ البرق إذا لمع، وأما بَرِقَ بالكسر فمعناه تحير.

وقال العلامة الطبرسي: أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت، فلا يطرف من شدة الفزع، وقيل إن بروق البصر يحمل معنى الحيرة والدهشة لحالة الذهول والخوف التي تصيب الإنسان لسبب من الأسباب.

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

وقيل: هو إشارة إلى الحركة الشديدة والاضطراب الشديد للبصر الناتج من شدّة الهول والخوف، وقيل هو سكون حدقة العين والنظر بدهشة إلى نقطة وهي غالباً ما تكون مرعبة[1].

(س) متى يبرق البصر؟

(ج) اختلفوا في أن هذه الحالة متى تحصل:

١- فقيل عند الموت.

٢- وقيل عند البعث.

٣- وقيل عند رؤية جهنم.

قال الرازي في تفسيره: بالنسبة للرأي الأول أن المنكر لما قال ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ على سبيل الاستهزاء، فقيل له إذا برق البصر وقرب الموت زالت عنه الشكوك، وتيقن أن إنكاره للبعث والقيامة كان خطأً وأنه كان لطلب الدنيا، وأما الذي قال أنه يكون يوم القيامة، لأن السؤال إنما كان عن يوم القيامة، فوجب أن يقع الجواب عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾.

(س) ما المراد من خسف القمر؟

(ج) ١- ذهاب ضوئه.

٢- انتهاءه بشكل كامل، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ولم يقل: وخُسِفَ القمر؟

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٩ ص١٨٩.

(ج) للإشارة إلى أن القمر في الحياة الدنيا يُحجب نوره أو يُخسف بفعل عوامل خارجية كوقوع الأرض بينها وبين الشمس في حركتها السنوية. أما في الآخرة فإنه يخسفُ نفسه بنفسه ولا يحتاج إلى شيء خارجي ليحجب نوره.

(س) كيف يحدث خسوف القمر في الآخرة؟

(ج) بما أن القمر يستمدّ نوره من الشمس، فلذا فعندما يُقضى على الشمس قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، فإن القمر أيضاً يُكتب عليه بالموت والانتهاء والظلام.

(س) لماذا لم تذكر الآيات الشمس كما ذكرت القمر؟

(ج) القرآن الكريم ذكر الشمس في محل آخر منه حيث قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وإنه تعالى ذكر نهاية القمر واجتماعها مع الشمس كزميلين متحابين قديمين في الآية اللاحقة.

۞ قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

(س) كيف يجمع الله تبارك وتعالى الشمس والقمر؟

(ج) يجمعهما بعد أن كان كل واحد منهما يسبح في فلكه الخاص بقوله تعالى: **﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾**[1]، وذلك لكي يؤدي دوره حسب المقرر والمطلوب، أما مع مجيء القيامة الكبرى يجمع بينهما إيذاناً لانتهاء حياتهما ومهمتهما في الحياة الدنيا، ولعل الجمع يحصل إما:

١- بتكوير الشمس وذلك بالقضاء على نوره وحرارته، وعندها يفقد القمر ما

(١) يس: ٤٠.

عنده، فيجتمعان بعد الفراق الطويل والعمل الدؤوب المستمر.

٢- بذهاب الجاذبية الكبرى أو الإدارة الإلهية العليا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾(١).

٣- وقيل هو طلوعهما كليهما من المشرق وغروبهما في المغرب.

٤- وقيل هو اجتماعها بعد زوال نوريهما وهو تعبير مجازي(٢).

٥- وقيل يحتمل أن ينجذب القمر نحو الشمس لكونهما أكبر من القمر بكثير فيجتمعان وينتهي ضياؤهما، والله العالم.

(س) لماذا يجمع الله تبارك وتعالى الشمس والقمر، ولا يدعهما على ما هم عليه من النور والنشاط، هل هناك ضرورة من هذا الجمع؟

(ج) إن التجميع لأجل الذهاب إلى يوم الجمع الأكبر، إلى يوم اللقاء مع الله عز وجل، ذلك اليوم الذي خلقت الخلائق لأجله، فلا حياة لشيء من المخلوقات بعده، فالجمع إذاً لأجل التعطيل الكامل والنهائي للذهاب إلى العالم الآخر والحياة الأخرى السعيدة والخالدة، قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ و تَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ﴾(٣).

(س) ما هي نتائج جمع الشمس والقمر؟

---

(١) فاطر: ٤١.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩٥.

(٣) إبراهيم: ٤٨-٥٠.

(ج) ١- انتهاء العالم والكون وتبديله إلى عالم آخر جديد ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾.

٢- بعث البشرية بعد أن ينفخ في الصور النفخة الثانية وهي نفخة الإحياء. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[١].

٣- يبدأ الكفار والمجرمون بالبحث عن ملاجئ لهم يلتجئون إليها لشدة عذابهم الروحي والجسدي، قال تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

(س) لماذا التأكيد على ذكر المشاهد والحوادث الكونية الأخروية في الكثير من السور القرآنية؟

(ج) ١- عندما يسمع الإنسان بمصير الكون وما فيه من مخلوقات كالشمس والقمر والجبال والمحيطات والنجوم، وهذه الأمور العظيمة سيكتب لها الاندثار والتلاشي الكامل عندها يفكر بنفسه ومصيره، فإذا كانت الأمور العظيمة تتهاوى أمام إرادة الله تعالى فكيف يكون حاله ونهايته.

٢- إن التذكير بالأمور الجسيمة التي ستحدث مع مجيء القيامة الكبرى يحفز الإنسان إلى المزيد من الصالحات والطاعات، ويوقفه عن التمادي في الفجور والسيئات، إذ إن المعرفة بالمستقبل يخلق حالةً من التوازن والتعقل لدى المكلف[٢].

۞ قال تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

(س) لماذا هذا السؤال، هل يظن أنه يصل إلى نتيجة مرضية؟

---

(١) الزمر: ٦٨.

(٢) من هدى القرآن: الآية.

(ج) إن الكافر يقول ذلك مع ظهور القدرة الإلهية له، وعلمه بأن لا ملجأ ولا فرار، السؤال هو من باب ظهور ملكاته وما يحمل من صفات رذيلة، فقد كان في الدنيا يسأل عن المفر إذا وقع في شدة أو هددته مهلكة[١].

الآية كقوله تعالى في إنكارهم للشرك والحلف الكاذب، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾[٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ**﴾[٣]

(س) لماذا يطلب الكافر ملجأ يوم القيامة؟

(ج) ١- للتواري والاختفاء من نظر الخلائق، حيث يأخذهم الخزي مأخذاً عظيماً ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾[٤].

٢- الفرار من سوء جزاءهم بما جاءوا من أوزار سيئة[٥].

❁ **قال تعالى: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ ❖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.**

(س) لماذا لا يجد الإنسان ملجأ يوم القيامة إلاّ إلى الله سبحانه وتعالى؟

(ج) إن الملجأ الوحيد الذي يلتجأ إليه الإنسان يوم القيامة ما كان غريباً عنه، بل على صلة معه، متوجهاً إليه وهو في بطن أمه مرتبطاً به، وإلى آخر لحظة من حياته. قال تعالى: ﴿**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**﴾.

---

(١) الميزان: ج٢٠ ص١٠٥.

(٢) الأنعام: ٢٣.

(٣) المجادلة: ١٨.

(٤) آل عمران: ١٩٢.

(٥) الأمثل: ج١٩ ص١٨٩.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[١].

وقال: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[٢].

وقال: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[٣].

(س) كيف قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ والله تعالى بيده مصير وقرار الدنيا والآخرة بقوله: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾؟

(ج) الآية المباركة تشير إلى الاستقرار والحكم النهائي والقرار الفصل، وانتهاء الأمهال في وقت كانت الدنيا بيده أيضاً ولكنه لم يتخذ حكمه وقراره في الإنسان العاصي وكان بإمكانه ذلك ولكنه أمهل كثيراً وأنعم كثيراً حتى أغرق الجميع برحمته الواسعة ونعمه السابغة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ وشتان بين هذا المستقر والمستقر الأخير، إنه المستقر الكبير المملوء بالخير والعطاء الخالي من السوء والأذى والمنغصات، بخلاف الاستقرار الدنيوي الذي لا يجد الإنسان فيها نعمة إلا بفراق أخرى، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾[٤].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[٥]؟

---

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) العلق: ٨.

(٣) النجم: ٤٢.

(٤) الواقعة: ٢٥-٢٦.

(٥) المطففين: ١٥.

(ج) إن سياق الآية: ﴿كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ❖ كَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المراد به حجاب الحرمان من الكرامة لا حجاب الجهل أو الغيبة[١].

بينما المراد من قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾، رجوع مصير الخلق إليه، فمن شاء جعله في الجنة وهم المتقون، ومن شاء جعله في النار وهم المجرمون قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاء وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء﴾[٢].

ويمكن أن يراد استقرار الجميع إلى حكم الله تعالى لا إلى غيره، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

(س) ما المراد من الآية المباركة؟

(ج) قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «بما قدّم من خير وشر، وما أخّر مما سنّ من سنّة، ليستنّ بها من بعده، فإن كان شراً كان عليه مثل وزرهم، ولا ينقص من وزرهم شيء، وإن كان خيراً كان له مثل أجورهم، ولا ينقص من أجورهم شيء»[٤].

(س) لماذا يُخبر الإنسان يوم القيامة بأعماله المتقدمة والمتأخرة؟

(ج) إنه يخبر بجميع أعماله التي ارتكبها في حياته الدنيا، والتي نسي الكثير

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٠ ص١٠٦.

(٢) المائدة: ٤٠.

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) تفسير القمي: ج٢ ص٣٩٧.

منها، قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٢].

وذلك لكي يعرف بصورة عملية بأن النتيجة التي وصل إليها في الآخرة، جاءت من أعماله في الحياة الدنيا، وما سنّ من سنن، وما خلّف من برامج ومشاريع قبل خروجه منها، وليعرف ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٣]، و﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٤].

(س) ما فائدة التنبيه على هذا الأمر؟

(ج) إن حضور مشهد الحساب الأخروي في وعي الإنسان في الدنيا، له دورٌ كبير في بعثه على التقوى والطاعة والصلاح[٥].

۞ قال تعالى: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ❖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

(س) ما علاقة الآية بسابقتها؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: إنه لّما قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال بل لا يحتاج إلى أن ينبئه أحدٌ غيره، وذلك لأن نفسه شاهدةٌ بكونه فاعلاً لتلك الأفعال.

---

(١) المجادلة: ٦.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) النساء: ٤٠.

(٤) غافر: ١٧.

(٥) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٤٤.

(س) ماذا تقول الآية المباركة؟

(ج) قال الرازي في تفسيره:

١- إن الإنسان بضرورة عقله يعلم أن ما يقربه إلى الله عز وجل ويشغله بطاعته وخدمته هي السعادة الكبرى، وما يبعده عن طاعته ويشغله بالدنيا ولذاتها هي الشقاوة، وإنه بعقله يعلم الذي هو عليه جيد أو رديء.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسّر سيئاً، أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه ليس كذلك؟ والله سبحانه يقول: ﴿**بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾ إنّ السريرة إذا صلحت قويت العلانية»[1].

٢- إن المراد جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهدٌ على نفسه بشهادة جوارحه.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[3].

(س) لماذا التذكير بهذه الحقيقة الساطعة؟

(ج) ١- تنمية وازع الضمير وهذه الحقيقة الوجدانية، التي يتغافل الإنسان عنها أو ينسى وجودها في نفسه بسبب ابتعاده عن ربه تبارك وتعالى.

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٩٦.

(٢) النور: ٢٤.

(٣) يس: ٦٥.

٢- الإشارة وتنبيه الإنسان إلى أنه كما لا يمكن الفرار من قبضة الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، كذلك لا يمكن الفرار من حكومة الضمير والعقل والفطرة، قال تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ ولم يقل: ولو ألقى معاذيراً؟

(ج) وذلك للإشارة إلى الأعذار الواهية التي يلقيها الإنسان لتبرير انحرافه وفساده، فكأن هذه الأعذار محفوظة حاضرة عنده يلقيها على نفسه وعلى الآخرين، متى ما اقتضت الضرورة، وهي لا تغير من الواقع والحق شيئاً، وإن ضميره يعلم بكذبه، وهكذا رب العزة تبارك وتعالى إذاً كلمة (معاذيره) فيها إشارة إلى أن صاحبه يتقن فنّ صناعة التبرير، بينما كلمة (معاذيراً) لا تشير إلى هذا الأمر[2].

❁ قال تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) ١- قال العلامة الطباطبائي ﵀: الذي يعطيه سياق الآيات الأربع بما يخصها من الآيات المتقدمة والمتأخرة الواصفة ليوم القيامة، إنها معترضة تتضمن أدباً إلهياً كلف النبي ﷺ به حينما يتلقى ما يوحى إليه من القرآن الكريم فلا يتبادر إلى قراءة ما لم يقرأ بعد ولا يحرك به لسانه وينصت حتى يتم الوحي. فالآيات الأربع في معنى قوله: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[3].

٢- عن ابن عباس: إن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي ليقرأ القرآن، تعجل

---

(١) من هدى القرآن: الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) طه: ١١٤، تفسير الميزان: ج٢٠ ص١١٤.

بقراءته ليحفظه وذلك لحبه الشديد للقرآن، فنهاه الله عن ذلك وقال: (إن علينا بيانه).

٣- وقيل إنه كان ﷺ يعجّل في إبلاغ الرسالة قبل النزول التدريجي للآيات أو قراءة ما يرافق تلك الآيات فنهاه الله عن ذلك، وأمره أن يبلغ ويتلو ما ينزل عليه في حينه[١].

(س) كيف يصح مجيء الآية المعترضة بين الآيات؟

(ج) الآيات المعترضة تأتي لأجل التنبيه إلى بعض الأمور المهمة ولا يحصل معها ضررٌ على السياق العام للآيات، كما المدرّس الذي يلقي درسه على تلميذه، فأخذ التلميذ يلتفت قليلاً، فيقول المدرس أثناء الدرس لا تلتفت، ثم يعود للدرس، فمن لم يعرف الحدث بشكل كامل يقول إن كلمة (لا تلتفت) غير مناسبة مع الدرس، لكن من عرف الواقعة علم أنها كانت مناسبة، لأجل إلقاء الدرس بصورة جيدة.

(س) اعترض العلامة المدرسي على قول ابن عباس الذي قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه، وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه، فنهاه الله عن ذلك»، قال بأن هذا لا يليق بالمكانة السامية للنبي ﷺ[٢] فهل يمكن الأخذ به؟

(ج) ليس بعيد ما قاله العلامة في تفسيره:

١- إنه ما كان يخشى النسيان وهو على يقين بأن الله يلهمه القرآن ويثبته في قلبه، وقد نهى الله تعالى نبيه في عدة مواضع من القرآن وهي من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٩ ص١٩٤.

(٢) من هدى القرآن: الآية.

٢- إنه تعالى وعد نبيه الأكرم ﷺ بأن لا ينسى ما يُقرأ عليه، فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾، فلا يصح بعد هذا القول بأنه ﷺ يخاف النسيان.

٣- إن الدافع الذي كان وراء استعجال النبي ﷺ في القراءة مع جبرائيل هو الخشية من أن تحول الظروف دون أن يجمع القرآن ويقرأ على الناس ويبين معانيه ولهذا قال تعالى في الآية اللاحقة: (إن علينا جمعه وقرءانه.. ثم إن علينا بيانه).

كان النبي ﷺ كثير الاهتمام بهداية الناس حتى أوشك يهلك نفسه، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[1].

(س) هل كان النبي ﷺ يعلم بما في القرآن، مما يدعوه إلى قراءته مع جبرائيل عليه السلام فنهته الآية عن ذلك؟

(ج) كان ﷺ على علم كامل بكتاب الله تبارك وتعالى حيث نزل على قلبه الشريف بأجمعه في ليلة القدر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...﴾ ولكن هذا الإنزال كان محكم ومجمل، ثم نزل بصورة مفصلة فيما بعد إلى آخر حياته المباركة، ولا شك أن النازل بصورة تدريجية يحمل العلم والتفصيل الأكثر.

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ يؤيد ما ورد في الروايات أن للقرآن نزولاً على النبي ﷺ دفعة غير نزوله تدريجاً.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) ١- الآية المباركة جاءت لتبعث الاطمئنان الكامل للنبي الأكرم ﷺ بأنه تعالى تعهّد بحفظ القرآن الكريم من جميع الأبعاد والمجالات، منها إنه سيجمعه

---

(١) الكهف: ٦.

كاملاً دون زيـادة أو نقصـان ثـم يُقـرأ جميعـه علـى النـاس، وتبيّـن معانيـه لـهم حتـى تكتمل الحجة عليهم.

٢- وقال الرازي في تفسيره: (إن علينا جمعه. .) في صدرك وحفظك كقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾[1].

(س) ما هي الأمور الواجبة على الله تبارك وتعالى إزاء القرآن الكريم؟

(ج) ١- جمعه بالشكل الكامل في صدر النبي ﷺ ثـم لينتقل إلى صدر وصيه المأمور من قبل الله تعالى تحمل الرسالة السماوية من بعده، ومن ثـم ينتقل في صدور الأئمة المعصومين حتى آخرهم وهو الإمام الحجة المهدي المنتظر عليه السلام فلابدّ أن يجمع في صدره بشكل كامل لأجل إدارة الحياة والمخلوقات، جاء في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

٢- تأليفه وتنظيمه بالشكل الكامل ثم حفظه من كل زيادة ونقصان، وهذا ما حصل بالفعل حيث تكفل ربّ العزة تبارك وتعالى بتأليف آياته بعد أن أمر رسوله ﷺ بترتيب الآيات والسور القرآنية كما هو عليه الآن.

٣- توضيحه وتبيين حقائقه، حتى لا يبقى للإنسان حجة على الله تعالى، ولتكون له الحجة البالغة على خلقه في الدنيا والآخرة.

٤- قراءته بالكيفية الصحيحة الواحدة والثابتة.

(س) ما المراد من (وقرآنه) الذي أوجبه على نفسه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؟

(ج) المراد من (وقرآنه) هو قراءته للناس بالكيفية الصحيحة التي يريدها هو أن

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

يُقرأ بها كتابه، وفي هذه الكلمة إشارة إلى بطلان فكرة القراءات السبع وإنها من عند البعض والقرّاء أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، القراءة الصحيحة ما يستلهمه الإنسان السليم عند النظر إلى المصحف الشريف المحفوظ من قبل الله تبارك وتعالى.

(س) كيف جمع الله تبارك وتعالى القرآن بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؟

(ج) قوله تعالى: (إن علينا) لا يعني أنه بذاته جمع القرآن وقرأه، بل هيأ الأشخاص الصالحين والطاهرين للقيام بهذه المهمة الكبرى، ولا يقبل القول الذي يقول بأن البعض من الصحابة قاموا بهذه المهمة، لأن الشرط الأساسي الذي يجب أن يتوفر في الجامع للقرآن الكريم هو الإيمان والصلاح الباطني والخارجي، ولا يتوفر هذان الشرطان الأساسيان إلا فيمن طهره الله سبحانه وتعالى تطهيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]، فكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الجامع للقرآن الكريم بأمر من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبإشراف كاملٍ منه، حيث تم الجمع في حياته المباركة.

(س) ما أهمية جمع القرآن وكتابته؟

(ج) إن جمع القرآن وتنظيمه كما شاء الله تعالى له أهمية كبرى في حياة الإسلام والمسلمين، حيث إنه النبراس والأساس في صلاح وبقاء الحضارة الإسلامية، وبإيجاد خللٍ أو نقص فيه تتهاوى هذه الحضارة ولم يبق لها ذكر ولهذا السبب تعهد ربّ العزّة تبارك وتعالى بجمع القرآن وحفظه وذلك لأجل حفظ ثقافة الحضارة الإسلامية إلى يوم القيامة[2].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) من هدى القرآن.

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ .

(س) كيف يقرأه الله تعالى وكيف يتبع الرسول ﷺ ؟

(ج) ١- قال في المجمع : أي قرأه جبرئيل عليك بأمرنا (فاتبع قرآنه) أي قراءته وقيل : أي فاعمل بما فيه من الأحكام والحلال والحرام[1] .

٢- وقال الرازي : (فاتبع قرآنه) أي فاتبع قراءته ، أي لا ينبغي أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبرائيل ، لكن يجب أن تسكت حتى يتم جبرائيل عليه السلام القراءة ، فإذا سكتّ فابدأ أنت بالقراءة ، وهذا الوجه أولى .

قال ابن عباس: فكان النبي ﷺ إذا نزل جبرائيل عليه السلام بعد هذه الآية أطرق واستمع ، فإذا ذهب قرأه[2] .

۞ قال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ .

(س) كيف بيّن الله تبارك وتعالى كتابه الشريف للمكلفين؟

(ج) ١- جعل كتابه الشريف يلتقي كاملاً مع فطرة الإنسان ووجدانه وعقله ، فكل ما يأمر به من حلال وحرام وأمر ونهي فهو في موضع استقبال المكلفين دون أن يظهر اعتراضٌ عليه ، إلاّ ما تأمر به النفس في اتباع الهوى والشر ، قال تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[3] .

٢- جعله يفسر بعضه بعضاً ، فما من آية إلا وتفسرها الآيات المحيطة بها أو آيات من سور أخرى .

---

(١) مجمع البيان : ج١٠ ص٣٩٧ .

(٢) التفسير الكبير : ج٣٠ ص٢٢٥ .

(٣) يوسف .

٣- ولعلّه تعالى يُسخر البعض لدعوة الناس إليه من خلال قراءته بصوت حزين وجميل، أو من خلال تبيين معانيه العميقة والجذابة. وهذا ما نراه اليوم حيث هناك الكثير من القرّاء الجيدين والكثير من التفاسير للقرآن الكريم موجودة في المكتبات، وهي تدلّ على وجود أناس بذلوا الجهود الكبيرة لترويجه للآخرين.

(س) لماذا تعهّد رب العزة تبارك وتعالى بتبيين القرآن وتوضيحه بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾؟

(ج) ١- لكي لا تبقى للإنسان حجة على الله بعد ذلك، قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

٢- لكي تكون لله تعالى الحجة البالغة على الناس في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[2].

(س) لماذا تقدمت القراءة على البيان في الآيات المباركات، حيث تعهد أولاً بقراءته من قبل جبرائيل ثم بيانه؟

(ج) يظهر أن القراءة هي المهمة والواجبة أولاً ثم يأتي وجوب البيان والتفسير وإنها مقدمة له، كما أن الخطيب لو لم يلقي نصّ موضوعه أولاً لما استطاع توضيحه وشرحه لمستمعيه.

۞ **قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ❖ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾.**

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) ١- الآية المباركة جاءت لتكمل الحديث حول المعاد، فقوله تعالى (كلا)

---

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) المؤمنون: ١٠٥.

ردع لقولهم بأن الله تعالى غير قادر على إعادة العظام بعد ترممها، إن الذي دفعهم إلى قولهم هذا هو حبهم للعاجلة ورغبتهم في اتباع الهوى والفساد والإفساد في الأرض وترك الحياة الأخرى الحقيقية والخالدة، قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ❖ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾.

٢- وقيل إن (كلا) جاءت لتنفي تردد الإنسان ببيان وعظمة القرآن الكريم الذي تعهّد ربّ العزة تبارك وتعالى ببيانه وجمعه وحفظه وإيصاله إلى المكلفين، وإن الذي دعاه إلى ذلك هو حب العاجلة وترجيحها على الآخرة، قال النبي الأكرم محمد ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

(س) لماذا قال تعالى: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ولم يقل تحبون الدنيا؟

(ج) لأنه يريد الإشارة إلى صفة موجودة عند الإنسان هي التي تسبب له السقوط والرذيلة ثم استحقاق العقاب الإلهي، وهي حب العاجلة وتقديمها على الأجله ولو كانت أقل وأدنى، فكثيراً ما نرى الإنسان يختار الدينار المعجل على المليون المؤجل، وذلك لوجود اللذة العاجلة في الدينار، وعدم وجودها في المليون الذي سيأتيه في المستقبل وبكل تأكيد.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ❖ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[1].

❁ **قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾.**

(س) ما المراد من (الوجوه) في الآية المباركة؟

(ج) ١- الوجه الظاهري للإنسان، حيث يظهر في المؤمن الحسن والجمال

---

(١) الأنبياء: ١-٢.

والسرور بما أنعم الله تعالى عليه، قال عز وجل: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾[2].

والسرور الظاهر على وجوههم، نابعٌ من سرورهم الباطني، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلاّ وظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه»[3].

٢- المراد هو الوجه الباطني أو القلب وذلك بعد النظر إلى الآية اللاحقة التي تقول: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ والظن: هو من أفعال القلوب فقط.

(س) استدلّ البعض من هذه الآية المباركة إلى أن المؤمنين سيرون الله تعالى في الآخرة فهل يمكن ذلك؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره:

١- إن النظر المقرون بحرف إلى ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ليس معناه تحقق الرؤية بل هو مقدمة لها، كالإصغاء بالنسبة إلى السماع، فكذا نظر العين مقدمة للرؤية، قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

٢- إن النظر يوصف بما لا توصف به الرؤية، يقال نظر إليه نظر غضبان، ونظر راضٍ، وذلك على أثر حركة حدقة العين، بينما لا يمكن القول: رآه رؤية غضبان أو رؤية راضٍ.

٣- يقال: انظر إليه حتى تراه، ونظرت إليه فرأيته، وهذا يفيد كون الرؤية غاية

---

(١) المطففين: ٤.

(٢) الدهر: ١١.

(٣) نهج البلاغة: كلمات القصار.

للنظر، إذاً هناك فرق بين النظر والرؤية.

٤- إن المراد من (وجوهٌ) هي القلوب، وليس الوجه الظاهري للإنسان وذلك بدليل (تظن) في الآية اللاحقة، والظن كما مرّ هو من أفعال القلوب.

قال تعالى عن نبيه موسى (على نبينا وآله وعليه السلام): ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ حيث لم يقل موسى عليه السلام: ربي أرني نفسك، لأنه تعالى لا يمكن أن يحدد ويوصف لكي يمكن رؤيته، ولكن الذي طلبه موسى عليه السلام هو القرب المعنوي الأكثر منه، وليس الرؤية المادية التي لا يطلبها الجاهل فكيف بنبيّ الله تعالى.

٥- إن قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ معناه أنها تنظر إلى ربها خاصة ولا تنظر إلى غيره، وهو المراد من تقديم المفعول، كقوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

٦- إنه قال: ﴿.. وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ولم يقل لا يراهم، فلما نفى النظر، ولم ينف الرؤية دلّ على وجود الفرق بينهما.

فثبت بهذه الوجوه أن النظر المذكور في الآية ليس هو الرؤية، وبهذا نرد قول القائلين برؤية الله تعالى يوم القيامة.

(س) ما تأويل الآية المباركة؟

(ج) ١- أن يكون المراد من (ناظرة) أي منتظرة، أي أولئك الأقوام ينتظرون ثواب الله عز وجل، كقول القائل، إنما انظر إلى فلان في حاجتي والمراد انتظر نجاحها من جهته، قال تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾.

٢- إنها ناظرة إلى ثواب ربها، إلى نعيم الجنة حالاً بعد حال فيزداد بذلك سرورها.

٣- إن معناه مؤمّلة لتجديد الكرامة، كما يقال: عيني ممدودةٌ إلى الله تعالى.

٤- إنّهم ينظرون إلى ربهم ببصائرهم لا بأبصارهم، وذلك من خلال النظر إلى آياته ونوره الذي يتجلى لهم إكراماً منه تعالى لعباده المتقين.

جاءت في الحديث عن صفوان عن ابن حميد قال: ذاكرت الإمام الصادق عليه السلام فيما يروون من الرؤية (لذات الله تعالى) فقال: «الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور السر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها حجاب»[1].

(س) لو قلنا أن المراد من قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي منتظرة ثوابه ورحمته، والانتظار فيه غم وألم وهو لا يناسب الذين سيدخلون الجنة، فكيف نفهم ذلك؟

(ج) إن المنتظر، إذا كان على يقين كامل من وصوله إلى ما ينتظره، فإنه سوف لا يرى غماً وهماً من انتظاره هذا بل يشعر بالسعادة واللذّة، للنجاح الكبير الذي سيصل إليه، ثم إن التعامل لما يكون مع الله سبحانه وتعالى لا يجد المتعامل معه أي سوء وأذى إذ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ❖ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

(س) ما سبب بسور وجوه هذه المجموعة؟

(ج) ١- إن البسور أو شدة العبوس والتشاؤم الذي يظهر على وجوه المجرمين، إنما يحكي الذي في نفوسهم، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه»، وإن البسور يظهر على وجوههم لما يدركوا بالمصير الأسود الذي سيصيرون إليه وإنهم سيجزون على أعمالهم دون زيادة ولا نقيصة. فلما عرفوا بأن العذاب سينزل بهم لهذا قال: ﴿تَظُنُّ

---

(١) بحار الأنوار: ج٤ ص٤٤.

أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

٢- ولعلّ البسور جاء بما سوّد الله سبحانه وتعالى وجوههم عند تمييزه أهل الجنة والنار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ❖ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[(١)].

(س) ما المراد من الظن في الآية المباركة؟

(ج) ١- هو العلم واليقين الكامل بما سيواجهه الإنسان بعد أن تحتل مداركه وحواسه قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[(٢)].

٢- وقال الرازي في تفسيره: عندي أن الظن إنما ذكر هنا على سبيل التهكم كأنه قيل لما شاهدوا تلك الأحوال، حصل فيهم أن القيامة حق، بينما كانوا من قبل يتجاهلون ويتغافلون عن معرفتها.

۞ **قال تعالى: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.**

(س) لماذا وصفت الآية المباركة النتيجة التي سيصير إليها المكذبون بالدين، بالفاقرة؟

(ج) (فاقرة) صفة محذوفة الموصوف أي فعلةٌ فاقرة، وفاقرة مشتقة من فقره إذا أصاب فقار ظهره. فيكون المعنى الكامل للآية: ووجوهٌ يومئذ شديدة العبوس تعلم أنه يفعل بها فعلة تقصم ظهورها أو تسم أنوفها بالنار[(٣)].

---

(١) آل عمران: ١٠٦-١٠٨.

(٢) ق: ٤٤.

(٣) تفسير الميزان: ج٢٠ ص١١٣.

❁ قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . .﴾ .

(س) ما علاقة الآية المباركة بما سبق؟

(ج) ١- إن العلم بالمصير المهلك الذي سيراه الكافر في الآخرة، يبتدأ مع بلوغ الروحي التراقي أي منذ اللحظات الأولى من خروجه من هذه الدنيا، حيث تتساقط مع مواجهته للفاقرة الحجب والأغطية التي وضعها على حواسه.

٢- قال الزجاج: (كلا) ردع عن إيثار الدنيا عن الآخرة، كأنه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء في الآخرة، وعلمتم أنه لا نسبة لها إلى الدنيا، فارتدعوا عن إيثار الدنيا على الآخرة، وتنبهوا إلى ما بين أيديكم من الموت[١].

(س) أين فاعل (بلغت) وما هي التراقي؟

(ج) فاعل (بلغت) محذوفٌ يدلّ عليه السياق، والتقدير: إذا بلغت النفس أو الروح التراقي، والتراقي هي العظام المحيطة لنحري اليمين والشمال وهو جمع ترقوة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[٢]، وإنه تعالى لم يذكر الروح وذلك لعلم المخاطب بها.

(س) هل تصعد الروح إلى الحلقوم أو إلى التراقي عندما تريد الخروج من جسد صاحبه؟

(ج) ١- قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٣].

٢- يحتمل أن الآية قالت ذلك لأجل تقريب الأمر إلى أذهان الناس، حيث أن

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٣٠.

(٢) الواقعة: ٨٣.

(٣) الإسراء: ٨٥.

خروج الروح من البدن من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.

إن الآية تدل على أن بلوغ الروح إلى الحلقوم لا يعني انتهاء الحياة في جسد الإنسان ولهذا يقال فيه (من راق) أي من يأخذ بروحه إلى السماء.

٣- وقال العلامة المدرسي في تفسيره: ويقال بلغت الروح التراقي كنايةً عن صعودها وقرب خروجها من البدن ومفارقتها له، ولعلها حقيقة يعانيها الميت عند سكرات الموت(١).

۞ قال تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

(س) ما هذه الـ(راق) ومن الذي يقولها؟

(ج) ١- (راق) اسم فاعل من الرقي وهي كلمة يأس، يقولها الذين عند الميت ساعة مفارقته لهذه الحياة، مَن راق؟ تحتمل أن تكون بمعنى الطلب كأنهم طلبوا له طبيباً يشفيه، أو راقياً يرقيه أي يعوذه بأن يكتب له دعاءاً في قرطاس للتشافي به.

٢- وقيل: يقول بعض الملائكة لبعض: من يرقي بروحه من الملائكة، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟

٣- وقال الرازي: ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الإنكار، كما يقول القائل عند اليأس من الذي يقدر أن يرقي (يشفي) هذا الإنسان المشرف على الموت(٢).

۞ قال تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ولم يقل وعلم أو تيقن أنه الفراق؟

(ج) قال المفسرون: المراد أنه أيقن بمفارقته الدنيا، ولكنه قال (ظن) وذلك:

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٥٦.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٣١.

١ - لأن الإنسان ما دامت روحه في بدنه ولم تخرج كاملاً، فإنه يطمع رجوعها إلى حالتها الأولى لحبه الشديد للدنيا ولهذا قال عز وجل: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.

٢ - قال (وظنّ) لعله على سبيل التهكم، أي هل له القدرة على الرجوع إلى الدنيا ثانية، كل بل هو الفراق ثم الذهاب إلى الحساب على كل صغيرة وكبيرة.

۞ قال تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾.

(س) أي الساقان يلتفان؟

(ج) ١ - عن قتادة: هما ساقاه عند النزع، أما رأيته كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى؟ وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفتا في الكفن.

٢ - لعلّه كناية عن الشدائد والصعاب التي يواجهها الكافر عند الموت فيضطرب وتضطرب رجلاه.

٣ - وقيل أي التفّت شدة مفارقة الدنيا ولذاتها، بشدّة الذهاب إلى الآخرة، أو التفت شدة ترك الأحباب بشدة الذهاب إلى دار الغربة.

(س) متى تلتف الساق بالساق؟

(ج) عندما تصل الروح إلى التراقي ويأتي الأجل المكتوب على الإنسان بوجوب خروج روحه في هذه اللحظة، عندها تبطل الحياة في أطراف البدن، بعد خروج الروح منها، فتفارقه حتى لقاء الآخرة.

(س) لماذا يكون الموت صعباً على الكافر، بينما هو سهل للمؤمن؟

(ج) عن الإمام علي عليه السلام قال: «لكل دار باب وباب دار الآخرة الموت»، فالموت باب يدخله الإنسان لينتقل إلى الحياة الحقيقية والخالدة التي خُلق لأجلها كما

قال تعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١].

فإذا كان الإنسان مؤمناً بالله عز وجل وبرسوله وبما جاء على لسانه ﷺ ، ومن جانب آخر مطبقاً لأوامره ومنتهياً عن نواهيه ، فإنه لا شك سيكون مشتاقاً للحياة السعيدة الخالدة التي كان يعمل لها طيلة حياته ، ولهذا يشتاق إلى ساعة الموت ولا يجد منها أي ألم ، بينما الكافر يجد الآلام المضاعفة لحظة انتقاله من هذه الدنيا ، وذلك لخوفه من العقاب الشديد الذي سيلاقيه بما قدمت يداه من أعمال فاسدة وظالمة ، ومن جانب آخر ألمه الشديد على فراق الدنيا التي كان يحبها ويؤثرها على الآخرة.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لأحد أصحابه عندما طلب منه أن يصف له الموت ، قال عليه السلام : «للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه ، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد»[٢].

۞ **قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.**

(س) ما المقصود من الآية المباركة؟

(ج) ١- إن مساق الملائكة للأنفس يكون إلى الله الذي خلقها ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٣].

٢- إن المصير النهائي للأنفس بعد الحساب يكون بيد الله تعالى أيضاً فإما تسوقه ملائكة الرحمة إلا الجنة ، وإما تسوقه ملائكة العذاب إلى النار وبيده تعالى كلا المساقين وهذا ما يدعوا الإنسان إلى الالتجاء إليه تبارك وتعالى أكثر فأكثر ، قال

---

(١) العنكبوت : ٦٤ .

(٢) بحار الأنوار: ج٦ ص١٥٢ .

(٣) الروم: ٤٠ .

تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[1]، وإن (إلى ربك) تقدم وذلك لإفادة الحصر ووحدة السياق.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ولم يقل إلى ربك يومئذ الرجوع؟

(ج) عبر عن الرجوع بالمساق وذلك للإشارة إلى أن الإنسان مسيرٌ بعد خروجه من هذه الدنيا، فإنه من ذلك اليوم سوف يساق ويسيّر حتى يرد على ربه يوم القيامة للحساب الكامل والشامل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2].

❁ قال تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾.

(س) ما هو الشيء الذي لم يصدّق به الكافر، ولماذا تقدم على الصلاة؟

(ج) إنه لم يصدق بأصول الدين التي هي الركن الأساسي في إنسانية الإنسان وبدونه يخرج من دائرة الإنسانية إلى دائرة البهيمية الكبرى، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[3].

وإنه تقدم على الصلاة وذلك لأهميتها عليها، حيث تفقد الفروع قيمتها عندما تكون الأصول مفقودة لدى الشخص.

---

(١) الشورى: ٥٣.

(٢) الزلزلة: ٧-٨.

(٣) الفرقان: ٤٣-٤٤.

(س) أي الأصول التي يقف الكافر أمامها عادةً ولا يؤمن بها؟

(ج) المعاد والرجوع إلى الله تبارك وتعالى للحساب الكامل، إنه الأصل المهم من أصول الدين التي يرفضه الكافر لمخالفته مع أهواءه وشهواته وتبطره في الحياة الدنيا، وما فائدة الإيمان بالله عز وجل عندما يفقد صاحبه التصديق بالآخرة قلباً وعملاً، ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ فالإيمان المطلوب هو الإيمان العملي بالله عز وجل المتمثل بالإقرار اللساني والقلبي والعملي بالرجوع إليه ثم الحساب على كل صغيرة وكبيرة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

(س) لماذا ذكر تعالى الصلاة بعد أمر التصديق ولم يذكر فرعاً آخراً كالزكاة والصوم وغير ذلك؟

(ج) إنه ذكر الأهم من فروع الدين، والذي به يصلح سلوك الإنسان وتستقيم أفعاله وتصرفاته مع الآخرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

(س) كيف تطلب الفروع من المنكر للأصول بقوله عز وجل: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ❁ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾؟

(ج) إن الفروع مطلوبة من الإنسان إلى جانب الأصول ما دام في هذه الحياة وذلك لكي يكون فرداً صالحاً في المجتمع ومن دون أحدهما يكون مفسداً للنظام

---

(١) يونس: ١٥.

الاجتماعي البشري، فلعلّ الآية تُشير إلى هذه النقطة، وهي أن التارك للفروع كان شخصاً مفسداً وضاراً في حياته الاجتماعية العامة، وهذا ما نراه بالفعل حيث أن الإنسان الذي يطبق فروع الدين بالشكل الكامل أنه إنسان صالح ومفيد بينما غير المطيع يكون على العكس تماماً.

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾.

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية تشير إلى العلاقات الاجتماعية للكافر، حيث إنه يتبختر ويتكبر في مشيته على الآخرين من أهل الإيمان، بينما علاقاته الحياتية محدودة ومحصورة مع أناس يشبهونه في الاعتقاد والعمل ولعلّ هذا هو المقصود من قوله (إلى أهله).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[1].

(س) التمطي هو تمدّد البدن من الكسل، فلماذا وصف الكافر بهذا الوصف؟

(ج) لعلّ فيه إشارة إلى حالة اللامسؤولية والاشتغال باللهو واللعب التي يمتلكها الكافر في حياته واختيار ذلك بدل الجد والاجتهاد والصلاح للمجتمع الإنساني.

۞ قال تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾.

(س) ما المراد من الآيتين وما علاقتهما بما سبق؟

(ج) قال عبد العظيم الحسني: سألت الإمام محمد بن علي الجوادعليه السلام عن قول الله عز وجل: (الآيتين) قال: «يقول الله عز وجل: بُعداً لك من خير الدنيا، وبُعداً لك من خير الآخرة».

وفي الآية وعيدٌ وتهديدٌ للذي يحمل الصفات التي ذكرتها الآيات السابقة. وأن

---

(١) المطففين: ٣١.

المكروه يقترب منه وسيلازمه دائماً وأبداً.

وقال العلامة الطباطبائي ﷺ: إنها كلمةٌ ملقاة من الله تعالى إلى هذا الإنسان طَبَعَ على قلبه وحُرّم بها الإيمان والتقوى وكتب عليه أنه من أصحاب النار، والآيتان تشبهان بوجه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾.

(س) كيف يعرف الإنسان أنه لم يخلق عبثاً، وإنما خلق لهدف كبير سامٍ؟

(ج) ١- إن العقل والفطرة والكون وجميع الشواهد والأدلة العلمية والفكرية تدعوا إلى أن الإنسان خلق لهدف كبير وعظيم ولم يخلق سدى أو لأمر صغير وحقير كمتاع الحياة الدنيا.

٢- الكون كله مخلوق لأجل الإنسان والدليل هو سيطرته عليه قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾[2].

فإذا كان الإنسان غير مخلوق لهدف كبير، لكانت خلقة الكون عبثاً أيضاً، وحاشا لله تبارك وتعالى من هذا، فلو صنع شخص ما صنعةً صغيرة لا فائدة فيها فإن الناس سوف يعترضون عليه بل يحذفون اسمه من زمرة العقلاء أيضاً، فكيف يمكن لله الحكيم المطلق أن يخلق خلقاً لا هدف له.

٣- وإذا قلنا بأن الإنسان مخلوق لهذه الحياة الدنيا، فإن هذا المتاع القليل المكرر والممزوج بآلاف الآلام والمصائب والمحن لا يمكن أن يكون المبرر والهدف من وراء خلق الإنسان، ولا يمكن أن يرى الإنسان الراحة والسعادة والحياة الطيبة إلا في الدار

---

(١) محمد: ٢٠.

(٢) الجاثية: ١٣.

الخالية من الأكدار والأذى وهي التي أعدّها الله تعالى لعباده الصالحين.

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ❖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ❖ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾.

(س) ما سبب ذكر أصل خلقة الإنسان هنا؟

(ج) ١- في الآيات إشارة إلى قدرة الأحياء والخلق للإنسان بعد صيرورته تراباً في الأرض، فالذي يخلق الإنسان من نطفة قذرة في ظلمة رحم الأم، ثم تمر عليه مراحل خفية متعددة ومتجددة في كل يوم إلى أن يصل إلى مرحلة التكامل والحياة بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، أليس بقادر على أن يحييه مرة أخرى، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

فمراحل خلقة الإنسان في بطن الأم دليل كبير على قدرة الله تعالى في إعادته مرة أخرى بعد موته.

٢- تذكير الإنسان ببداية خلقته وتكوينه دعوة له إلى معرفة نفسه بأنه كان صغيراً بالأمس ثم كبر، لذا فعليه أن لا يتعدى حدوده، ولا ينسى ماضيه.

(س) ما فائدة ذكره تعالى لكلمة (يمنى) في الآية، بينما يمكن عدم ذكرها وتركها؟

(ج) إن في كلمة (يمنى) إشارةً إلى حقارة بداية تكوين الإنسان، كأنه قيل إنه مخلوق من المني الذي جرى في مخرج البول والنجاسة، فلا يليق بمثله أن يتكبر ويتجبر ويتمرّد على طاعة الله تعالى وإنه عبّر بهذا على سبيل الرمز، كما في قوله

---

(١) الحاقة: ٢٤.

تعالى في عيسى ومريم عليهما السلام : ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ والمراد منه قضاء الحاجة[١] بالإضافة إلى معاني أخرى في الآية.

❁ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.

(س) من هو المخاطب بالاستفهام الذي تظهره الآية المباركة؟

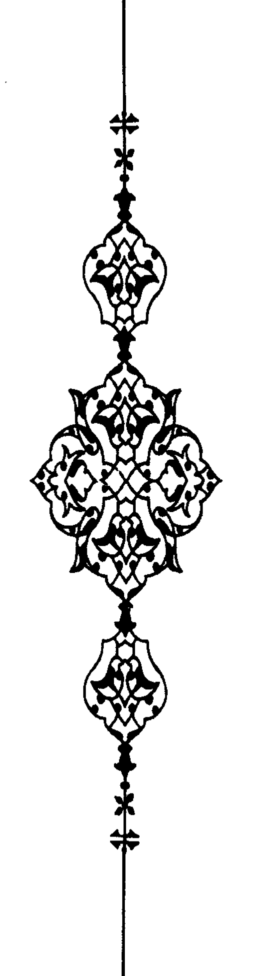
(ج) الاستفهام موجّه للجميع، روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سبحانك اللهم، وبلى»[٢].

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٣٤.

(٢) مجمع البيان: ج١٠ ص٤٠٢.





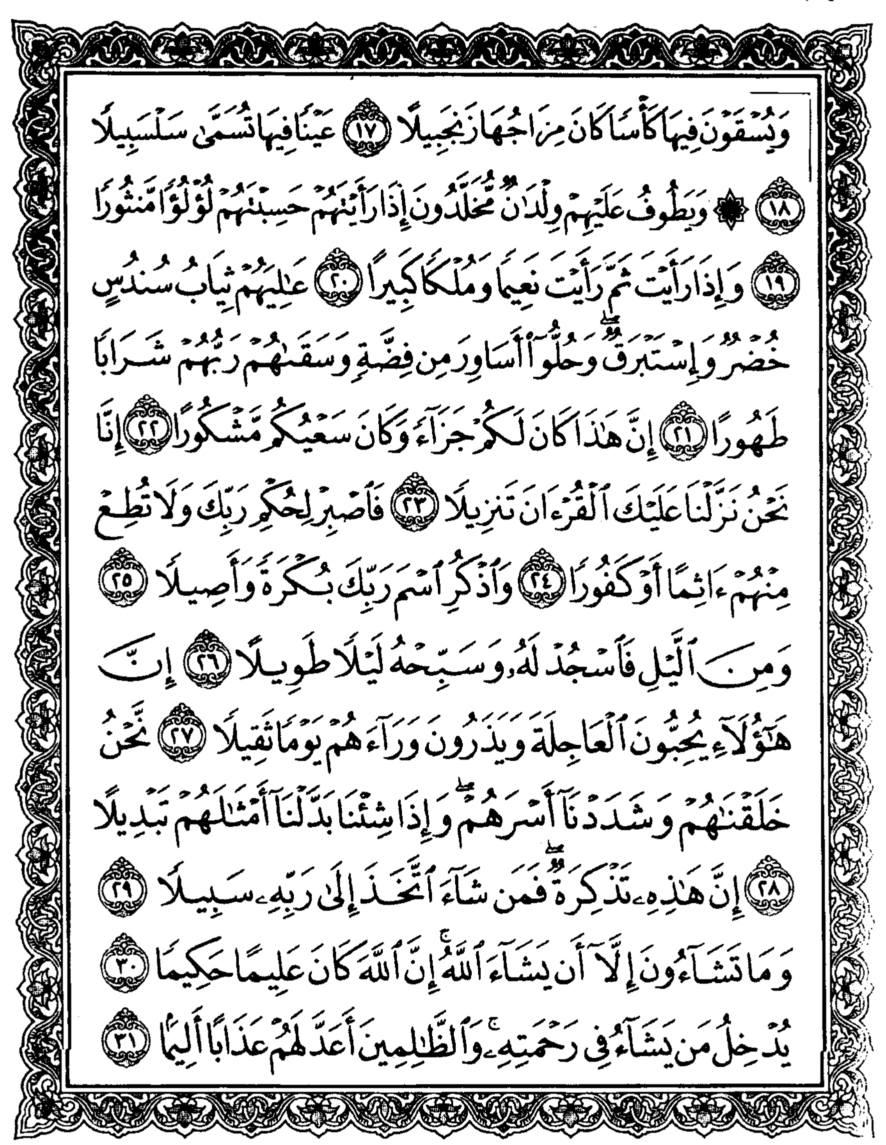
سورة الإنسان



سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾



وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

فضل السورة:

روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «من قرأ سورة (هل

أتى) في كلّ غداة خميس زوجه الله من الحور العين مائة عذراء وأربعة آلاف ثيّب، وكان مع محمد ﷺ »[١].

مفردات السورة:

الدهر: اسمٌ لمدة العالم من مَبدَأ وجوده إلى انقضاءه، وقيل عُني به الزمان.

أمشاج: مختلطة، ومشجتُ بهذا أي خلطته، ومفردها مشيج.

مستطيراً: فاشياً منتشراً في جميع الجهات.

عبوساً: العبوس؛ قطوب الوجه من ضيق الصدر.

قمطرير: شديد الشر.

الأرائك: جمع أريكة، وهي الأسرّة المحشوّة على أفضل وجه.

الزمهرير: البرد الشديد.

قوارير: زجاج.

زنجبيلا: الزنجبيل نوع من القرفة، طيب الطعام، وكان العرب يجعلونه في المشروب، حيث يلذع اللسان ويستدفع به المضار.

السندس: الحرير الرقيق الفاخر.

الاستبرق: الحرير الغليظ الذي له بريق.

شددنا أسرهم: أحكمنا خلقتهم بتنظيم الأجهزة، فإنّ الأسر أصله الشد ومنه سمي الأسير أسيراً لأنه يشد بالحبال.

موضوع السورة:

تتحدث السورة حول خلق الإنسان، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، خلقه الله تبارك وتعالى من نطفة مختلفة من ماء الرجل والمرأة، وأعطاه قدرة التعلم، حيث

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٦٧.

جعله سميعاً بصيراً، ثم هداه هداية فطرية في معرفة الحق إما شاكراً وإما كفوراً، ثم تذكر السورة المباركة بأنه تعالى اعتدّ للكافرين أنواع العذاب، وللأبرار ألوان النعم، ثم تذكر مخاطباً النبي ﷺ بأن القرآن تنزل منه تعالى، فتذكّره بالصبر لحكم ربه ولا يتبع أهواء الناس وليذكر اسم ربه بكرةً وعشياً وليسجد له من الليل ويسبحه ليلاً طويلاً، والسورة مدنية.

الأسئلة والأجوبة:

❁ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾.

(س) ما معنى (هل) في الآية المباركة؟

(ج) ١- قيل إن معناها (قد) وكذا في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، كما تقول هل رأيت عمل زيد وقد علمت أنه قد رآه، ومقصودك أن تقرره بأنه رآه.

٢- وقيل (هل) استفهام تقريري، يعرف السائل الجواب سلفاً، ويطرح الكلام لأجل أخذ الإقرار من الطرف المقابل في أنه لم يكن ثم كان، فإذا أقرّ كان مكوّنه قادراً على أن يعيده بعد أن يفنى ويهلك.

(س) ماذا كان الإنسان قبل أن يأتي إلى هذه الدنيا؟

(ج) ١- كان في عالم التقدير في علم الله تعالى.

٢- في عوالم النشأة، مثل عالم الأرواح، عالم الذر، عالم الأصلاب، عالم الدنيا، في تلك العوالم كان شيئاً في علم الله عز وجل ولم يكن مذكوراً عند الخلق لضآلته المتناهية[1].

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٧١.

عن مالك الجهني قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قوله: (الآية) فقال: «كان مقدراً غير مذكور»[١].

وعن زرارة قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قوله: (الآية) قال: «كان شيئاً ولم يكن مذكوراً»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان مذكوراً في العلم، ولم يكن مذكوراً في الخلق»[٣].

(س) ما المراد من الإنسان في الآية المباركة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾؟

(ج) قال الرازي في تفسيره:

١- قال جماعة من المفسرين إنه آدم عليه السلام، ثم ذكر أولاده بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ..﴾.

٢- إن المراد من الإنسان في الآيتين هم بنو آدم بدليل قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

(س) ما هي الأمور التي اجتمعت في تكوين الإنسان، بقوله تعالى: ﴿إنا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾؟

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(ج) ١- ماء الجنسين، قال الإمام الباقر عليه السلام: «ماء الرجل والمرأة اختلطا جميعاً»[١]، وقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٢].

٢- اختلاط الصفات الوراثية والنفسية والشكلية من الطرفين، مع النظر إلى الامتداد التاريخي والاجتماعي للأجداد والآباء والأخوال..

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ومحطّ الأمشاج من مشارب الأصلاب»[٣].

٣- معرفة طريق الخير وطريق الشر، قال تعالى: ﴿ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا﴾.

٤- وقيل أمشاجٌ من الأرض والماء والهواء، قال تعالى: ﴿واللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾.

قال تعالى: ﴿نَبْتَلِيهِ﴾.

(س) كيف يظهر الابتلاء في الإنسان؟

(ج) بما أن الإنسان خلق حُراً في اختيار مسيرة حياته ثم هدي النجدين بقوله تعالى: ﴿وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ فلذا فهو يعيش الابتلاء والصراع بين الخير والشر ما دام على قيد هذه الحياة، وأنه جزء لا يتجزأ منه.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن النبي قال لعلي عليه السلام: قل: ما أوّل نعمة أبلاك الله عز وجل وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني جلّ ثناؤه ولم أكُ شيئاً مذكوراً، قال:

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٦٩.

(٢) سورة الطارق

(٣) نهج البلاغة.

صدقت»[١].

❁ قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

(س) ما علاقة السمع والبصر في الابتلاء الذي ذكرته الآية السابقة؟

(ج) تلعب حاستا السمع والبصر دوراً أساسياً في حركة التغيير والإصلاح في النفس الإنسانية نحو المبادئ الإلهية، وأن تعطيلهما عن العمل هو السبب في دخول عذاب السعير، قال تعالى: ﴿وقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٢].

ثم إن السمع والبصر نافذتان أساسيتان لعقل الإنسان على الحياة، وهما أهم أدوات المعرفة عنده، فبسمعه يتلقى المعارف والعلوم من العلماء، وببصره يميز الطريق السليم من السقيم، وكفى بهما حجة بالغة على الإنسان.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾.

(س) لماذا الاهتداء إلى السبيل بعد أن جُعل الإنسان سميعاً بصيراً؟

(ج) لو خُلي الإنسان ونفسه لما استطاع أن يحرّك ساكناً فما عنده لا يوصله إلى الغاية المرجوّة منه، لهذا جاءت سبل الهداية وبمختلف صورها وأشكالها لتقف إلى جانب الإنسان في عملية الهداية الكبرى، لإيصاله إلى شاطئ الإيمان والصلاح، قال تعالى: ﴿ولَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ ونَخْزَى﴾[٣].

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) الملك: ١٠، من هدى القرآن: ج١٧ ص١٧٣.

(٣) طه: ١٣٤.

(س) ما هي السبل والوسائل التي وضعت بين يدي الإنسان لأجل الأخذ بسبيل الهداية كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾؟

(ج) هدي الإنسان إلى طريق الحق بدلائل وحجج كثيرة لكي لا يكون له عذرٌ بعدها، فمن هذه الحجج:

١- العقل. ٢- الفطرة. ٣- النفس الإنسانية.

سئل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كيف عرفت الله؟ قال: «عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم».

٤- الرسل. ٥- الرسالات. ٦- الآيات الكونية. ٧- المعجزات الإلهية كعصا موسى عليه السلام وناقة صالح وو..

(س) ما المراد من السبيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾؟

(ج) السبيل هو الذي يسلك من الطريق، فيجوز أن يكون سبيل الخير أو الشر والنجاة أو الهلاك، فيكون المراد من الآية المباركة، أي بيّنا كيفية كل واحد منهما له، كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

(س) لماذا عبّر الله سبحانه وتعالى عن الإيمان والضلال بالشكر والكفر، حيث قال: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾؟

(ج) عبّر تعالى عن الإيمان بالشكر، لأن صاحبه استقبل نداء الحق برحابة صدر مبتعداً عن التمرد والعصيان، فيعتبر هنا من الشاكرين لهذه النعمة الكبيرة، كمن يستقبل الهدية الجميلة بوجه باسم، بينما الذي يستقبل الهدية بوجه مكفهر عبوس، فلم يؤدي حقها بالشكل المطلوب لذا فهو كافرٌ لها.

قال حمران بن أعين: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: (الآية) قال:

«إما آخذاً (بالسبيل) فهو شاكر، وإما تارك فهو كافر»[١].

ولا شك أن الشكر يتحقق بالقول والعمل وترك أحدهما يدخل الإنسان دائرة الكفر.

۞ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾.

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) لما ذكر الله تعالى فريق الشاكرين وفريق الكافرين بقوله: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**، أتبعهما بالوعيد للكافرين والوعد الجميل للشاكرين.

(س) ما الفرق بين السلاسل والأغلال؟

(ج) قال القرطبي: السلاسل هي القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعاً[٢]، وقال الرازي: السلاسل تشدّ بها أرجلهم، ولعله يشد بها المجرمون إلى بعضهم ويسحبون بها[٣].

بينما الأغلال فتشد بها أيديهم إلى رقابهم، ولعله يقيد بها الواحد من يديه ورجليه ورقبته، وهو الجزاء المناسب للكافرين.

(س) لماذا التقييد بالسلاسل والأغلال يوم القيامة؟

(ج) لم يكن التقييد والأغلال أمراً جديداً على الكفار يوم القيامة، إنه امتداد للقيود والأغلال التي كانوا فيها في الحياة الدنيا بما خالفوا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ونشروا الفساد والمناهج الشيطانية الضالة، واتبعوا أهواءهم

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج١٩ ص١٢٣.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٤٠.

وشهواتهم، حتى قيّدتهم كاملاً[١].

❁ **قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾.**

(س) لماذا سمي الأبرار بهذا الاسم؟

(ج) الأبرار جمع بر بفتح الباء وهي صفة مشبهة من البر وهو الإحسان.

وقيل إن أصل (بر) هو الاتساع، وأطلق البَر على الصحراء لاتساع مساحتها، وتطلق على الصالحين الذين تكون نتائج أعمالهم واسعة في المجتمع، والأبرار هم الذين يحسنون في عملهم للآخرين من غير أن يطلبوا به نفعاً من جزاء مادي أو شكر، يفعلون الخير لأنه خير لا لأن فيه نفعاً يرجع إلى أنفسهم، بل يقومون بذلك وإن كرهوا[٢].

(س) إن مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذاً فما السبب في ذكره في الآية؟

(ج) ١- عن ابن عباس رضي الله عنه: الكافور هو اسم عين ماء في الجنة، ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده، ولكن لا يكون فيه طعمة ولا مضرته، فالمعنى أن ذلك الشراب يكون ممزوجاً بماء هذه العين.

٢- قال مقاتل: ليس بكافور الدنيا، ولكن سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب[٣].

٣- أي بأس في أن يخلق الله تعالى الكافور في الجنة، لكن من طعم طيب لذيذ، خالي من الأذى ثم يمزجه بذلك المشروب، ليشربه الأبرار.

(س) ما فائدة كان في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ وهو فعل ماض ناقص؟

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٧٥.

(٢) الميزان: ج٢٠ ص١٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج١٩ ص١٢٥.

(ج) ١ - قيل إنها زائدة والتقدير: من كأس مزاجها كافور.

٢- وقيل كان مزاجها في علم الله وحكمه كافوراً.

(س) لماذا ذكر القرآن مسألة شراب أهل الجنة بعد ذكر أصحاب السعير في الآية المتقدمة؟

(ج) لعل تقديم ذكر الشراب على سائر النعم الأخرى التي ستعطى للأبرار في الجنة، وذلك لأهميته، ولما تقدم من كلمة (السعير) الموجبة لطلب أصحابها الماء.

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

فجاءت الآية: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ لتبين مقامهم والنعم التي صاروا فيها، خلاف أصحاب السعير.

(س) لماذا مُزج شراب الأبرار بالكافور كما قالت الآية المباركة؟

(ج) قال السيد الشيرازي ﵀ في تفسيره: كانت العرب تمزج الخمر بالكافور حيناً وبالزنجبيل حيناً، ولذا ذكروا أن خمر الجنة كذلك، تماشياً مع مداركهم، وإن كان هناك ما لا يشبه أطعمة الدنيا وأشربتها لذةً وفضلاً[2].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ..﴾ ولم يقل سيشربون وإنه لا شك سيتحقق لهم ذلك يوم القيامة؟

(ج) إن لفظ الفعل المضارع مشترك بين الحال والمستقبل، فقوله يشربون أي سيشربون.

---

(١) الأعراف: ٥٠.

(٢) تقريب القرآن: سورة الدهر الآية ٦.

❁ قال تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾.

(س) من هم المقصودون من (عباد الله)؟

(ج) المقصودون هم أهل الإيمان والعمل الصالح، ولا يقصد بهم سائر العباد الآخرين، وإن كانوا عباداً له أيضاً قال: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ ءاتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[1]، ولكن العباد الخارجين عن طاعته غير مرضين عنده ولا يستحقون التكريم، قال تعالى: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ..﴾ ولم يقل يشرب منها والإنسان يشرب من العين لا بالعين؟

(ج) إن المراد من (بها) هو منها، ولكن جاءت كذلك لنكتة بلاغية جميلة، قيل يراد منها الارتواء الكامل.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هي عينٌ في دار النبي صلى الله عليه وآله تفجّر إلى دور الأنبياء والمؤمنين»[2].

❁ قال تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾.

(س) لماذا التفجير وكيف يتم من قبل الأبرار؟

(ج) استخدمت الآية كلمة التفجير دون غيرها، لعل فيها من اللذّة والنشوة والجمال ما ليس في غيرها، وإن التفجير الذي يحصل منهم في العيون ليس فيه شوب وأذى، كالتفجيرات التي تحصل في الدنيا التي تصحب معها التبعثر والزيادة في الخير أو الشر، فقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءونَ فِيهَا﴾ يشير إلى أن الأمور تجري في الجنة حسب

---

(١) مريم: ٩٣.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٤٧٧.

هوى ورغبة أهلها، دون أن يكون هناك تقييد أو تحديد.

قال القرطبي في تفسيره: إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود.

۞ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بما سبق؟

(ج) الآية السابقة إشارة إلى الأبرار وما أعدّ الله تعالى لهم من نعيم دائم، ثم جاءت هذه الآية لتقول بأن ما وصلوا إليه لم يأت اعتباطاً، بل جاء بعد سعي كبير وجهد حثيث والتزام بالأعمال الصالحة منها الإيفاء بالنذر. وإن ما عند الله تعالى لا يُنال بالتمني.

(س) ما المراد من النذر؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره، للمفسرين في تفسير الآية أقوال:

١- إن المراد من النذر هو النذر الدارج في عرف الشرع بأن يقول لله عليّ كذا إن شفى الله مريضي مثلاً.

٢- هو كل ما وجب على الإنسان سواء وجب بإيجاب الله تعالى ابتداء أو بأن أوجبه المكلف على نفسه فيدخل فيه الإيمان وجميع الطاعات.

عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «يوفون لله بالنذر الذي أخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا»[1].

٣- قال الكلبي المراد من النذر هو العهد والعقد، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٧٨.

بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ فسمى فرائضه عهداً، وقال ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ سماها عقوداً لأنهم عقودها على أنفسهم باعتقادهم الإيمان[١].

(س) ما دور الإيفاء بالنذر في الحصول على المقامات العالية؟

(ج) لو قلنا أن المراد من النذر هو ما أوجبه الإنسان على نفسه إن حصل على ما يرجوه من الله تعالى، فإن وَفى بما فرض على نفسه، كان بما أوجبه الله عليه أوفى. فلهذا فإنّ بأداءه للواجبات الإلهية سوف يحصل على الكثير من النعم والفضائل في الدنيا والآخرة، وهذا ما حصل عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحينما تنبني شخصية المجتمع على أساس الوفاء بالتعهدات فإن هذا يدعوا إلى تنمية الثقة والاطمئنان بينهم، وأخيراً السير في طريق التقدم والازدهار.

❁ **قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾.**

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتبيين الجناح الثاني الذي يمتلكه الأبرار، بحيث جعلهم يتمتعون في روضات الجنان ورضى الرحمن، فالآية تُبين الدافع الداخلي الموجود لديهم، الذي دفعهم إلى القيام بالصالحات، وهو خوفهم من الآخرة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنيات» فبعد اجتماع النية الصالحة مع العمل الصالح سماهم الله تبارك وتعالى بالأبرار[٢].

(س) كيف وصف الله تبارك وتعالى أحوال وأهوال يوم القيامة بالشر بقوله: ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾، وما يصدر منه تعالى هو خير لأن وراءه هدف سام وحكمة عالية؟

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٤٢.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٤٢.

(ج) إنما سمى الله تعالى عذاب الآخرة بالشر وذلك لكونها مضرةٌ بمن تنزل عليه ومؤذية له، كما تسمى الأمراض وسائر الأمور المكروهة شروراً.

(س) كيف قال تعالى بأن شر الآخرة مستطير أي منتشر في كل مكان، وأنه تعالى أمّن أولياءه منها بقوله: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾؟

(ج) إن هول القيامة شديد حيث يصل قرعه ووقعه إلى جميع المخلوقات فينهد ركنها وينفل شدها، فالسموات تنفطر وتنشق، والكواكب تتناثر، وتتكور الشمس، وتُنسف الجبال، وتبدل الأرض غير الأرض، ويصل القرع إلى كل المكلفين كما قال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، إلا أنه بفضله يؤمن أوليائه من ذلك الفزع بقوله عز وجل: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾، وقوله: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾، ولم يقل وسيكون شره مستطيراً؟

(ج) ١- اللفظ وإن كان للماضي، إلا أنه بمعنى المستقبل، كقوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً﴾.

٢- يحتمل أن يكون المراد: إنه كان شرّه مستطيراً في علم الله وحكمته، فكأنه تعالى يقول: كان ذلك في الحكمة لازماً، إذ إنّ نظام العالم لا يحصل إلا بالوعد والوعيد، ولهذا السبب فعلته، وفي الآية نوع من الاعتذار واللطف[1].

(س) لماذا وصف الله سبحانه وتعالى شرّ ذلك اليوم بأنه مستطير؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أن الشر منتشر في جميع الجهات، بحيث يصيب جميع الكفار والآثمين، دون أن تترك شخصاً، وأنه ليس كشرور الدنيا التي تصيب البعض

---

(١) المصدر.

وتترك البعض الآخر إمهالاً لهم لعلهم يعتبرون بالهالكين والمصابين[١] .

❁ قال تبارك وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ .

(س) ما سبب نزول الآية المباركة؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: إن صاحب تفسير الكشاف ذكر هذه القصة فروى عن ابن عباس رضي الله عنه: «إن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أناس معه، فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما، إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معه شيء فاستقرض علي عليه السلام من شمعون اليهودي ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا.

فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صائمين.

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، وجاء أسير في الثالثة ففعلوا معه مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين ودخلوا على رسول اله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال صلى الله عليه وآله: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم. وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: خذها يا محمد هنّاك الله في أهل بيتك فأقرأها السورة.

---

(١) المصدر.

ثم قال الرازي: لا يمكن تخصيص هذه الآية بالشخص الواحد كما قيل بأنها نزلت في حق الإمام علي عليه السلام أو أنها نزلت بجماعة معينة، لأن سياق الآيات يخالف ذلك، فلو جعلناه هكذا لفسد نظم السورة! بل الآية عامة تشمل من هو من الأبرار والمطيعين من أتقياء الصحابة والتابعين، وإنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

(س) هل يمكن قبول كلام الرازي؟

(ج) لا يمكن قبول كلامه للأسباب التالية:

١- قال المفسرون: إن الذين نزلت فيهم الآية المباركة قدّموا طعامهم للمسكين واليتيم والأسير لثلاثة أيام متوالية وهم صائمون، وكانوا في أشدّ الحاجة إليه، حيث لم يذوقوا شيئاً خلال هذه الفترة إلا الماء. لذا ليس الأمر أمراً عادياً لكي يصدر من أناس عاديين ولو كانوا في درجة عالية من التقوى إلا أن يكونوا معصومين أو ممن نشأ في بيوتهم وذاب في حبهم. فالأمر العظيم لا يصدر إلا ممن يمتلك أهلية ذلك وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٢- لم يذكر لنا التاريخ عن شخص أو عن عائلة قدمت جميع طعامها للفقير ليوم واحد وهم صائمون، ولم يذوقوا خلال هذه الفترة شيئاً من الطعام، إلا عن أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، وهم الإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسن والحسين عليهما السلام وخادمتهم فضة التي كانت في قمة الإيمان والذوبان في حب النبي وأهل بيته عليهم السلام، حيث قدموا طعامهم للسائلين لثلاثة أيام متوالية وذلك عند الإفطار وهم صائمون.

٣- إن عدم الالتفات إلى متطلبات الجسد الطبيعية لمدة طويلة من الزمن،

---

(١) التفسير الكبير: للرازي ج٣٠ ص٢٤٤.

والإيثار بالطعام إلى المحتاج لا يمكن أن يتحقق إلا عند الإنسان الذي سمت فيه الحالة المعنوية بشكل كبير حتى هونت عنده ألم الجسد، وهذه الحالة النادرة لا يمكن أن نجدها إلا عند من تعلقت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى بشكل كبير حتى هان عندهم غيره وهم أهل البيت عليهم السلام، والقرآن الكريم صرّح عبر آياته الكريمة، عندما تتألق الحالة الروحية والمعنوية للإنسان يفقد الجسد تأثيره وفعاليته عليه.

قال تعالى في قصة نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

فالنسوة قطّعن أيديهن دون أن يشعرن، وذلك لتألق الحالة الروحية لديهنّ عندما نظرن إلى نبي الله يوسف عليه السلام، وحصل هذا الأمر بشكل واضح وكبير مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦٢هـ حين رأوا الشهادة معه عليه السلام هي السعادة العظمى والحياة الكبرى، لهذا تسابقوا في طلبها وهم في أتم السعادة والسرور، حيث علموا أنهم صائرون إلى رضوان الله تعالى، وإلى جنانه ونعيمه الدائمين بعد أن يدافعوا عن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الميامين عليهم السلام.

٤- كما نزلت آيات خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ تمجد بشخصيته المباركة فكذلك سجل الله تعالى هذا الموقف السامي لأهل البيت عليهم السلام في كتابه الكريم وذلك لتعرف البشرية عظمتهم ومكانتهم ثم ليقتدوا بهم.

قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا

---

(١) ١٢: ٣١.

تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»[١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[٢].

إذاً فلا يمكن قبول الرأي الذي يقول: بأن الآية ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ..﴾ عامة يمكن أن تشمل جميع الأبرار والأتقياء من الصحابة والتابعين[٣].

(س) ما الذي يدفع الإنسان إلى الابتعاد عن حب الذات وشهواتها وبالتالي التألق في أجواء الكمال والإيمان؟

(ج) الإيمان بالآخرة وتذكر أهوالها وحسابها الدقيق ثم تمني النجاة من عذابها هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل الصالح المقرون بالإيمان والإخلاص لله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ❖ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾.

(س) هل قال الإمام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام هذا الكلام للمسكين واليتيم والأسير؟

(ج) قال الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما قالوا هذا، ولكنهم أضمروه في أنفسهم فأخبر الله بإضمارهم، يقولون: لا نريد جزاءاً ولا تكافئوننا به، ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكنا إنما نطعمكم لوجه الله وطلب ثوابه»[٤].

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) راجع التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٤٤.

(٤) من هدى القرآن: الآية.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ .

(س) ما علاقة الآية المباركة بما سبق؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتبين السبب والدافع الذي كان وراء الإيفاء بالنذر وإطعام الطعام مع شدّة الحاجة إليه ، حيث تشير الآية إلى أن أهل البيت عليهم السلام يعيشون ويعرفون عظمة وشدة يوم القيامة ، فلذا لأجل اجتيازها بصورة جيدة لابدّ من الإيفاء بالنذر والوعود التي يقطعونها مع الله تبارك وتعالى .

(س) لماذا علل سبب إيفاء النذر هو الخوف من الآخرة ، بينما علل الإطعام بأمرين الأول طلب رضا الله عز وجل والثاني الخوف من القيامة؟

(ج) إن النذر أمرٌ أوجبه الإنسان على نفسه ، وفي تركه يستحق عقاب الله تبارك وتعالى ، لذا دخل الإيفاء بالنذر في حقيقة طلب رضا الله تعالى ، لهذا ذكر خوف الآخرة فقط ، بينما الإطعام أمر تطوعي يقوم به الإنسان لأجل التقرّب إلى الله تعالى وكسب رضاه ، لهذا أضافت الآية رضا الله عز وجل بالإضافة إلى الحذر من الآخرة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[1] .

❁ قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ .

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة نوعين من النعم الإلهية؟

(ج) ذكرت الآيتان السابقتان أن الأبرار قاموا بالطاعات لأمرين ؛ الأول طلب رضا الله عز وجل والثاني الخوف من القيامة ، ولهذا بيّن في هذه الآية أنه تعالى أعطاهم ما طلبوه فبالنسبة للخوف من القيامة ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ ، وأما

---

(١) التفسير الكبير : الآية .

طلب رضا الله تعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾[(١)].

(س) لماذا تقدمت الوقاية من شرّ يوم القيامة على إلقاء النضرة والسرور؟

(ج) إن القيامة وما يصاحبها من حوادث هي المرحلة الابتدائية التي يمرّ عليها المؤمن قبل دخوله الجنّة، فلذا لابدّ أن تذكر أولاً ثم تذكر النعم الأخرى؟[(٢)].

(س) النضرة هو الجمال والبهجة في الوجه، بينما السرور في القلب، أولا يكفي السرور الباطني وأنه سيظهر على الوجه بشكل طبيعي، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه» فلماذا ذكر تعالى سرورين؟

(ج) لعل فيه إشارة إلى كمال السرور وعظمته، حيث لا يحتاج المؤمن وهو في الجنة إلى بروز السرور من قلبه إلى وجهه، بل إن السرور طافح وظاهر على وجهه بشكل دائم وكامل، بينما كان مؤقتاً وقليلاً في الحياة الدنيا.

۞ قال عز وجل: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.

(س) لماذا ذكر الحرير بصورة منفصلة عن الجنة؟

(ج) ١- لعلّ المراد من الجنة هنا ليست الجنة الكبرى التي فيها القصور والحور والحرير، بل هو بستانٌ فيه من المأكل الهنيء جزاءاً لما صبروا وقدّموا من الطعام للمسكين واليتيم والأسير، أما (وحريراً) فهو الملبس البهيّ الذي سيقدم لهم إلى جانب المأكل الهنيّ.

٢- ولعله ذكر الحرير بصورة منفصلة وذلك للإشارة إلى عظمة نعمته حيث استحقت أن تذكر بصورة منفصلة عن ذكر الجنة الكبرى التي أعدّ الله تعالى فيها

(١) المصدر نفسه.

(٢) من هدى القرآن: الآية.

أنواع النعم لعباده الصالحين.

❁ قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾.

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية تشير إلى موضع من مواضع المسكن الذي سيعطى للمؤمنين والصالحين، حيث يخلق الله تعالى لهم أرائك ليتكئوا عليها، والأرائك جميع أريكة، وهي الأسرّة المحشوّة لهم على أفضل هيئة، وأنه تعالى ذكر حشو الأرائك فقال: إنه الحرير الغليظ الذي له بريق، قال عز وجل: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ..﴾[١].

❁ قال تعالى: ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾.

(س) إذا كانت الجنة خالية من الشمس والزمهرير فكيف يكون هواؤها إذاً؟

(ج) الشمس كناية عن الحرّ، والزمهرير هو البرد، فلما ينعدمان من المحيط السكني للإنسان بشكل كامل، فإنه يدلّ على وجود حالة الاعتدال والهواء الجميل الخالي من الحر والبرد.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يجريان بأمره مطيعان له، وضوءهما من نور عرشه، وحرّهما من جهنم، فإذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما، وعاد إلى النار حرّها، فلا يكون شمس ولا قمر»[٢]. قال عليه السلام: «خير الأمور أوسطها».

(س) ذكر العلماء أن السبب الأساسي في وجود الضوء في الكون هو الشمس،

---

(١) الرحمن: ٥٤.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٤٨٠.

إذ تبعث النور والضوء إلى القمر وغيرها، فإذا كانت الجنة خالية من الشمس فكيف تضيء؟

(ج) إن قاعدة العلّة تدل على المعلول والأمور تسير وفق الأسباب اللازمة متعلق بهذه الحياة، وأما في الآخرة فالأمر يختلف تماماً، إذ تكون الجنة مضيئة من دون وجود الشمس أو القمر.

۞ قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا﴾.

(س) قال سبحانه وتعالى في الآية السابقة بأن الجنة خاليةٌ من الشمس: ﴿**لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً**﴾ إذاً كيف يحصل الظل مع عدم وجود الشمس؟

(ج) ١- إن قوله تعالى: ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا**﴾ كناية عن تناسب أشجار الجنة ووجود حالة الرفاه الكبير المهيأ لأهلها، بحيث يغطي فوقهم[(١)].

٢- إن أشجار الجنة تكون بهيئة بحيث لو كان هناك شمس لكانت مظللة منها[(٢)].

۞ قال تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾.

(س) ما المراد من تذليل قطوف الأشجار في قوله تعالى، وهل أنها كانت غير مذللة؟

(ج) ١- قيل إنها تقرب إليهم حيث يسهل اقتناؤها بشكل كامل، قال رسول الله ﷺ: «من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بفيه وهو متكئ، وإنَّ الأنواع من الفاكهة ليقلن لوليِّ الله: يا ولي الله كلني قبل أن تأكل هذه

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٨٢.

(٢) التفسير الكبير: ص٢٤٨.

قبلي»[(١)] .

٢- جعلت منقادة ولا تمتنع على قاطفيها كيف شاءوا ، حيث يستطيعون قطفها في حالة الوقوف والجلوس والاضطجاع ، ولم يؤذهم أكلها .

۞ **قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ .**

(س) لماذا تقدم وصف الأواني على وصف الشراب في الآية المباركة؟

(ج) الإناء هو أول ما ينظر إليه الشارب فيما يريد أن يشرب ، فإذا كان جميلاً وأنيقاً فإنه سرعان ما يبعث فيه السرور والسعادة ، قبل أن يتناول الشراب اللذيذ الذي قد هيئ له ، بينما لا يجد الشارب اللذّة والنشوة من الشراب الذي يقدم له في إناء قبيح الشكل والمنظر ولو كان لذيذاً . إذ إن أغلب السرور الذي يدخل الإنسان هو مما يراه بعينه سواء كان في عملية الأكل أو الشرب أو السكن أو الزواج أو غير ذلك .

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى : **﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾** ، وقوله : **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾** ، حيث دلّت الآية الأولى على أن الأواني والأكواب من فضة ، بينما الآية الثانية دلّت على أنها من الذهب؟

(ج) لا منافاة بين الأمرين فتارةً يأكلون ويشربون بآنية من ذهب وتارةً بآنية من فضة[(٢)] .

(س) ما الفرق بين الآنية والأكواب؟

(ج) لعلّ الآنية المطاف بها هي التي يكون فيها الشراب الذي يصب في الأكواب

---

(١) نور الثقلين : ج٥ ص٤٨٠ .

(٢) التفسير الكبير : ج٣٠ الآية .

بعدئذ، أو هي أواني الأكل والفواكه التي يحملها الولدان إلى أولياء الله عز وجل بينما الأكواب هي الكؤوس التي لها مقبض وعروة، وفي صنعتها الرائعة تتجلى قدرة الله وكرامته لأوليائه[1].

(س) هل يمكن لأواني الجنة أن يصيبها الاعوجاج والانكسار، كما يحصل لأواني الدنيا؟

(ج) ١- بما أن انكسار وطعج الأواني في الحياة الدنيا يؤدي إلى ألم أصحابها، وأن سكّان الجنة لا يرون السوء والأذى كما قال تعالى: **﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾** لهذا لا يرى أصحاب الجنة الكثير من الأمور التي كانوا يرونها في حياتهم الدنيا مثل كسر الأواني وسقوط الجدار أو السقف وغير ذلك من الابتلاءات والمنغصات..

٢- بما أن الله سبحانه وتعالى قال: **﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾** لهذا فإذا اشتهى المؤمن كسر كوبه أو إناءه فيمكن له ذلك، ولكنه سرعان ما يعود إلى حالته الأولى، كما الفاكهة المقطوعة. قال تعالى: **﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾**[2].

وهكذا تعود العظام بعدَ أكل لحومها إلى طير كما كانت من قبل، قال تعالى: **﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾**[3].

٣- بما أن كسر الكوب أمرٌ لا يشتهيه العاقل، فلذا لا يشتهي أصحاب الجنة ذلك لأنه أمر باطل ولغو، قال تعالى: **﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاماً**

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٨٣.

(٢) الواقعة: ٣٣-٣٤.

(٣) الواقعة: ٢١-٢٢.

سَلاماً﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيراً﴾.

(س) ما معنى (كانت) في الآية؟

(ج) هي من يكون في قوله تعالى: (كن فيكون) أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين[٢] وهما الفضة والزجاج.

(س) كيف يمكن لآنية وأكواب الجنة أن تكون من فضة ومن زجاج؟

(ج) ١- قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج»[٣].

فكما أن أصل الزجاج في الدنيا هو الرمل، فإن أصل زجاج (قوارير) الجنة هو فضة الجنة، فكما أنه قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادرٌ على أن يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة وصافية.

٢- إنها تكون من فضة ولكن لها صفاء القارورة (الزجاج) وإنه تعالى قادرٌ على الجمع بين هذين الوصفين.

(س) ما هو الهدف من وصف آنية الجنة؟

(ج) ١- وذلك للتنبيه إلى أن نسبة زجاج الجنة إلى زجاج الدنيا، كنسبة فضة الجنة إلى رمل الدنيا، فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين، فكذا لا نسبة بين أواني الجنة وأواني الدنيا في اللطافة والجمال.

---

(١) الواقعة: ٢٦-٢٧.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٤٩.

(٣) مجمع البيان: ج١٠ ص٤١٠.

٢- آنية الجنة من الفضة بقاؤها ونقاؤها وشرف جوهرها، ومن الزجاج صفاؤها وشفافيتها.

(س) ما المراد من التقدير في قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾؟

(ج) ١- قال ابن عباس: أتوا بها على قدرهم، لا يفضلون شيئاً، ولا يشتهون شيئاً بعدها.

٢- وعن مجاهد: إنها ليست بالملأى التي تفيض، ولا ناقصة بقدر.

٣- وقال المفسرون: على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص من الري ليكون ألذّ لشرابهم.

٤- وقال الربيع بن أنس: إن تلك الأواني تكون بمقدار ملء الكف لم تعظم فيثقل حملها[١].

(س) ما علة مجيء قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾؟

(ج) يبلغ الرجل قمّة النشوة من الآنية التي يشرب بها إذا اجتمعت فيها ثلاث صفات وهي الصفاء والنقاء والشكل، أما الصفاء فقال عز وجل: ﴿كَانَتْ قَوَارِيراً﴾ أي بصفاء الزجاج، وأما النقاء والسلامة فقال: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ وأما الشكل والحجم، فقال: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾.

(س) من هو المُقَدِّر؟

(ج) ١- إنهم الطائفون الذين قال تعالى عنهم: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾، فقدروا الشراب على قدر ري الشارب.

٢- هم الشاربون حيث إذا اشتهوا مقداراً من المشروب جاءهم على ذلك

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ الآية.

القدر.

۞ قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾.

(س) ما فائدة جعل الزنجبيل في الشراب؟

(ج) ١- كان العرب يحبون جعل الزنجبيل في المشروب لأنه يحدث ضرباً من اللذع في اللسان، فلما كان كذلك وصف الله تعالى شراب أهل الجنة به، ولابدّ أن يكون طيباً جداً.

٢- يدفع مضار الجسم، وله لذّة فائقة.

٣- وقيل إنه سائغ في الحلق لصفائه وخفته، وفي الكشاف: يعني إنها في طعم الزنجبيل، وفيه لذعة، ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة[١].

۞ قال تعالى: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾.

(س) ما هو السلسبيل؟

(ج) هي العين التي يؤخذ منها الشراب الممزوج بالزنجبيل، وسميت (سلسبيلاً) لسيلانه في الأنهار عذباً صافياً رقراقاً أو لأنه سلسٌ ترتاح إليه النفس وتأنس.

وقال الراغب: وقوله (سلسبيلاً) أي سهلاً لذيذاً سلساً أي سلس الانحدار في الحلق وسهل المساغ.

۞ قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ..﴾ ولم يقل ويقف بينهم أو غير

(١) الكشاف: ج٤ ص٦٧٢.

ذلك . . ؟

(ج) إن طواف الولدان الخدم بين أصحاب الجنة يبعث فيهم السرور والبهجة أكثر مما لو كانوا واقفين إلى جانبهم ، حيث إن هذه الحركة المستمرة والمنظمة فيها من اللذّة والمنظر الجميل ، لا يجدها المؤمن مع وقوفهم . كذلك الأمر بالنسبة لأنهار الجنة ، حيث جعلها الله تبارك وتعالى متحركة وجارية لما في الجريان من منظر جميل وصوت عذب ترتاح له النفس ، قال عز وجل : **﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾**(١) .

(س) لماذا قال تعالى : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾** ولم يقل يطوف بينهم؟

(ج) إن (عليهم) تشير أن الولدان في تطواف دائم ينتظرون سماع أمر المؤمنين لهم للقيام بخدمتهم مهما كانت كثيرة وجليلة ، وإنهم على استعداد تام لذلك بينما كلمة (بينهم) لا تشير إلى هذا .

(س) ما هي المواصفات التي ذكرتها الآية المباركة في صفة خدم الجنة ولماذا لم يذكر غيرها؟

(ج) إن المواصفات التي ذكرتها الآية للخدم ثلاثة وهي التي يطلبها المؤمن ويرجوها دون غيرها وهي :

١- دوام الحياة والنشاط ، قال عز وجل : **﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾** .

٢- الجمال ، قال تعالى : **﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾** .

٣- المواظبة على الخدمة التامة والكاملة ، قال تعالى : **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾** والتي تشير إلى كمال خدمتهم للمؤمنين .

---

(١) محمد : ١٢ .

(س) لماذا لا يكون الخدم بناتاً أو شباباً بل جعلهم ولداناً مخلدين؟

(ج) ١- بما أن الخدم في حالة طواف دائم ومستمر بين المؤمنين في الجنة وإنهم يقومون بكل الخدمات التي يطلبونها لذا لا يمكن أن يكونوا بناتاً أو حوراً لأنه في هذه الحالة سوف يصبحن في معرض نظر جميع المؤمنين وهو خلاف الصحة والمنطق، ولا يوجد في الجنة خطأ ولا باطل.

٢- جعل الله تعالى الحور العين في الخيام، في حالة لا يتعدى نظرهنّ أزواجهن أبداً، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[2].

٣- إنه تعالى اختار الولدان لخدمة أهل الجنة، وإنه أبقاهم مخلدين كذلك لأن الصغار بهذا السن ألذّ لهم من خدمة غيرهم، وبما أن أهل الجنة يكونوا بعمر وهيئة الشباب ولذا فإن خدمة الولدان أطيب وألذ من خدمة أمثالهم لهم.

(س) لماذا شبّهت الآية الخدم باللؤلؤ المنثور بقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾.

(س) قال الفخر الرازي في تفسيره:

شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في منازلهم ومجالسهم عند الخدمة باللؤلؤ المنثور، ولو كانوا صفاً لشبّهوا باللؤلؤ المنظوم، فبما أنهم يطوفون (ويطوف عليهم) فلذا لابد أن يكونوا متناثرين.

(س) هل يمكن لأهل الجنة أن ينظروا إلى الولدان المخلدين نظرة سوءٍ شاذة؟

---

(١) الرحمن: ٧٣.

(٢) الرحمن: ٥٧.

(ج) بما أن أصحاب الجنة حصلوا على هذا المقام السامي، بفعل تعقلهم ورزانتهم وجهادهم الكبير في الحياة الدنيا، لذا فإن التعقل والرزانة التي امتلكوها تبقى معهم في الحياة الأخرى، بل يزدادون صفاءً وكمالاً مع قربهم من الله تبارك وتعالى ولهذا فلا تميل أنفسهم إلى الشيء الرديء والشاذ بل تطلب الطاهر كما كانوا من قبل، بينما الذي يطلب الباطل والشذوذ هو من كان شاذاً ورديئاً من قبل.

قال تعالى: ﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾.

(س) لماذا تكررت (رأيت) في الآية المباركة؟

(ج) ١- قال العلامة الطباطبائي ﵀ في تفسيره إن (ثم) في الآية ظرف مكان ممحض في الظرفية، والمقصود منها (الجنة)، فيكون معنى (رأيت) الأول: رميت ببصرك.

فيكون معنى الآية وإذا رميت ببصرك (ثم) يعني الجنة، رأيت نعيماً لا يوصف وملكاً كبيراً لا يقدر قدره[2].

٢- وقال العلامة المدرسي في تفسيره: إن تكرار كلمة (رأيت) يأتي لبيان أنك مهما تكرر بنظرك وتعيد الرؤية فإنك لا تستطيع أن تصل إلى حد ملك الأبرار من النعيم في الجنة، وإنما تعلم بصورة مجملة أنه نعيم وملك كبير[3].

---

(١) هود: ٧٩.

(٢) تفسير الميزان: ج٢٩ ص١٣٠.

(٣) من هدى القرآن: الآية.

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مبيناً معنى الملك الكبير، قال: «إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، أرسل رسولاً إلى ولي من أوليائه، فيجد الحجب على بابه، فتقول له: قف حتى نستأذن لك، فما يصل إليه رسول ربه إلا بإذن، فهو قوله عز وجل (الآية)»[١].

وعن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من الخدمة من الولدان المخلّدين على خيلٍ من ياقوتة حمراء، لها أجنحة من ذهب»[٢].

(س) ما الفرق بين النعيم والملك الكبير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾؟

(ج) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «النعيم؛ هي نعم الجنان لا توصف لكثرتها، والملك الكبير هو استئذان الملائكة للدخول على أهل الجنان ويحيوهم بالسلام»[٣].

(س) لماذا ذكر الله تعالى (وملكاً كبيراً) بعد ذكره لمجموعة من النعم المادية الكبرى التي تقدم لأصحاب الجنة؟

(ج) بما أن النعم المادية لا تملك الاعتبار العالي والدرجة السامية في الرفعة والكمال، حيث يمكن للحيوانات أن تشارك الإنسان في الكثير منها، لذا فالملك الكبير الذي ذكرته الآية المباركة لابدّ أن يكون مغايراً للأمور المادية، ولعلّه هو الارتباط السامي الذي يجده المؤمن مع الله جل وعلا كما قال تعالى في آيات أخرى

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٤١١.

(٢) الدر المنثور: ج٦ ص٣٠١.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٩ ص٢٣٦.

منها: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

قال الفخر الرازي في تفسيره: بيَّن في هذه الآية حصول التعظيم وهو أن كل واحد منهم يكون كالملك العظيم، وقال الكلبي هو أن يأتي الرسول من عند الله بكرامةٍ من الكسوة والطعام والشراب والتحف إلى ولي الله وهو في منزله فيستأذن عليه، ولا يدخل عليه رسول رب العزة من الملائكة المقربين المطهرين إلا بعد الاستئذان»[2].

❁ قال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

(س) ما الفرق بين السندس والاستبرق؟

(ج) قال شيخ الطائفة: السندس هو الحرير (الديباج) الرقيق الفاخر الحسن، والاستبرق: هو الحرير الغليظ الذي له بريق[3].

أو السندس هو ما رقَّ نسجه من الحرير والاستبرق ما غلظ نسجه منه.

(س) ما المراد من (عاليهم) في قوله تعالى؟

(ج) ١- قالوا إنها ظرف، فيكون المعنى: فوقهم ثياب سندس.

٢- ومنهم من جعلها حالاً، فيكون المراد: يعلوهم ثياب سندس.

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «تعلوهم الثياب فيلبسونها»[4].

---

(١) التوبة: ٧٢.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٥٢.

(٣) التبيان: ج١٠ ص٢١٧-٢١٨.

(٤) مجمع البيان: ج١٠ ص٤١١.

(س) لماذا تكون الثياب باللون الأخضر كما قالت الآية ولم تكن بلون آخر؟

(ج) إن اختيار اللون الأخضر للباس أهل الجنة لاشك أنه الأفضل من غيره في بعث النشاط والبهجة في النفس، ولو لم يكن كذلك لما اختاره الله سبحانه وتعالى لهم، كذلك الأمر بالنسبة لأوراق الأشجار فنراها خضراء في أكثر الأوقات، ولا يمل الإنسان من النظر إليها طيلة حياته بينما قد يمل من الكثير من اللذائذ الأخرى، وهناك أنواع وأقسام للون الأخضر ولكل منها لطافة خاصة. قال تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(١).

(س) لماذا الحرير الرقيق والغليظ في ثياب أهل الجنة؟

(ج) إن الآية المباركة إشارة إلى نوعين من الثياب التي تعلو أهل الجنة منه ما هو رقيق جداً ومنه ما هو غليظ، ولعله بينهما متوسطات ودرجات كثيرة ومتعددة في أنواع الثياب الرائعة التي أعدت للصالحين من عباده وإن الأنواع المتعددة والكثيرة من اللباس الحرير تدخل السرور واللذّة في النفس أكثر مما لو كان نوعاً أو نوعين، والله العالم.

۞ قال تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾.

(س) قال تعالى في سورة الكهف: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾**(٢)، كيف نجمع بين هذه الآية المباركة وبين آية البحث؟

---

(١) طه: ١٣١.

(٢) الكهف: ٣١.

(ج) ١- لا تنافي في الآيتين، فلعلهم يسورون بالجنسين، إما على التعاقب أو على الجمع، كما تفعل النساء في الدنيا.

٢- بما أن طباع ورغبات أهل الجنة مختلفة، فلعل البعض يرغب في السوار الذهبي والبعض الآخر بالفضي، فيعطي الله سبحانه وتعالى كلاً حسب رغبته وميله.

(س) السوار إنما يليق بالنساء وهو عيب للرجال، فكيف ذكر الله تعالى ذلك في معرض الترغيب للرجال؟

(ج) إن لبس الأساور الفضية والذهبية إنما أصبحت عيباً وحراماً على الرجال في هذه الحياة لأسباب أخلاقية واجتماعية متعلقة بها، وبما أن الأمر مختلف في الحياة الأخرى، فلهذا يلبس الرجال أساور الذهب والفضة، ولا يكون هناك مانع عرفي أو اجتماعي يقف أمام الأمر.

وإن الرجال في الأزمان السابقة كانوا يلبسون الأساور الذهبية والفضية للدلالة على العظمة، قال تعالى عن لسان فرعون: **﴿فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾**[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾.

(س) هل إن الشراب الطهور هو عين ما ذكر تعالى في الآيات السابقة من أنهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل أو هو نوع آخر؟

(ج) إنه نوع آخر والدليل:

١- لو كان نفسه لصار تكراراً غير مفيد.

---

(١) الزخرف: ٥٣.

٢- إنه تعالى أضاف هذا الشراب إلى نفسه فقال: (وسقاهم ربهم) يدل على وجود فضل فيه دون غيره.

(س) ما هو الشراب الطهور؟

(ج) ١- قيل إنه الطاهر من الأقذاء والأذى.

٢- طهوراً لا يصير بولاً نجساً ولكنه يصير رشحاً في أبدانهم كريح المسك.

٣- عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «يطهرهم من كل شيء سوى الله..»[1].

٤- ولعله هو شراب نهر الكوثر الذي يعطيه الله لأهل الجنة بيد رسوله صلى الله عليه وآله ووليه أمير المؤمنين علي عليه السلام قبل دخولهم الجنة فيطهرهم من كلّ عيبٍ ودنس[2].

٥- وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله: (شراباً طهوراً) أي بالغاً في التطهير، لا يدع قذارة إلا أزالها، ومن القذارة قذارة الغفلة عن الله سبحانه والاحتجاب عن التوجّه إليه، فهم غير محجوبين عن ربهم ولذا كان لهم أن يقولوا: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[3].

وهذا أفضل ما ذكره الله تعالى من النعم الموهوبة لهم في الجنة، ولعله من المزيد المذكور في قوله عز وجل: ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[4].

روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: «فيسقون منها شربةً فيطهر الله بها قلوبهم

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٤١١.

(٢) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٨٩.

(٣) يونس: ١٠.

(٤) ق: ٣٥.

من الحسد . وذلك قول الله عز وجل : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[١] » .

(س) كيف يكون السقي ؟

(ج) بما أن الآية المباركة قالت : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ ، إذاً فعملية السقي سوف تكون بيده تبارك وتعالى بصورة غيبية ، لا عن طريق الولدان إكراماً لهم منه عز وجل ، وبما أن هذا السقي هو من أسمى التكريم الإلهي لأصحاب الجنة ، فلابدّ أن لا يكون مجرد شراب مادي وإن كان مادياً فإنه يتحول إلى درجة معنوية عالية دونها درجة ، وكرامة عالية توثق الصلة بين العبد وخالقه[٢] .

(س) متى يسقون الشراب الطهور؟

(ج) قال أبو قلابة : يؤتون الطعام والشراب ، فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور ، فيشربون فتطهر بذلك بطونهم ، ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك ، بهذه الصورة يتطهر ما في بدنهم من الأشياء الغير مناسبة ، بالإضافة إلى إنه يطهر نفوسهم وقلوبهم ، ولعله يقدم لهم بين الآونة والأخرى ، بل متى شاءوا لكي يزدادوا به قرباً من ربهم الجليل ، حيث فيه من اللذّة والأنس ما ليس في غيره ، وغيره صغيرٌ في نفوسهم .

ومن الظريف أن عبارة (طهوراً) لم ترد في القرآن الكريم إلا مرتين ، مرة في إنزال المطر من السماء ، لإحياء الأرض وما فيها قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾[٣] .

ومرة أخرى في الآخرة يسقي الله عباده الصالحين الأبرار وفي مقدمتهم نبيه

(١) نور الثقلين : ج٥ ص٤٨٥ ح٦٠ .

(٢) من هدى القرآن : ج١٧ ص١٨٩ .

(٣) الفرقان : ٤٩ .

الكريم ﷺ والأئمة المعصومين من ذريته الطاهرين عليهم السلام فيجعل قلوبهم مرتبطة به، شاربة من فيض حبه وقربه، مستأنسة به عن غيره، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك قرة عيني ووصلك مُنى نفسي..»[1].

ويقول الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام واصفاً اللحظات التي يقترب فيها العبد من ربه: «وغُلتي لا يبرّدها إلا وصلك، ولوعتي لا يطفيها إلاّ لقاؤك، وشوقي إليك لا يبلّه إلاّ النّظر إلى وجهك، وقراري لا يقرّ دون دنوّي منك، ولهفتي لا يردّها إلا روحك، وسقمي لا يشفيه إلا طبك، وغمي لا يزيله إلا قربك.. فيا منتهى أمل الآملين، ويا غاية سؤال السائلين، ويا أقصى طلبة الطالبين، ويا أعلى رغبة الراغبين.. أسألك أن تنيلني من روح رضوانك وتديم عليّ نعم امتنانك»[2].

(س) ذكرت الآيات السابقة مجموعة من النعم الخالدة للأبرار وإنهم سيكونون في راحة تامة عند ربهم منها: ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ..**﴾، ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا**﴾، ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً..**﴾، ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ..**﴾. فما هو السر في ذلك، أو كيف حصلوا على هذه النتيجة؟

(ج) حسب الظاهر من السورة المباركة أن الأبرار أتعبوا أنفسهم بالشكل الكامل في خدمة الناس، وبذلوا الغالي والنفيس ولم يطلبوا إلا رضا الله سبحانه وتعالى وأجره فنرى قدوة الأبرار وأسوتهم هم أهل البيت عليهم السلام يقدمون طعامهم للمسكين واليتيم والأسير ثلاثة أيام متوالية وهم صائمون، دون أن يملكوا ما يسد جوعهم.

لهذا نزلت الآية المباركة ومجدت موقفهم السامي، قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ**

(١) مناجاة المفتقرين: مفاتيح الجنان

(٢) المصدر نفسه.

الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾.

من هذه الصورة الرائعة يمكن لنا فهم تضحيات وجهاد الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦٠ للهجرة، حيث رأوا الموت والقتل في سبيل إحياء الإسلام وحدوده هي السعادة الكبرى والحياة المثلى، والرضوخ للظالمين هو الموت الأكبر والذلّ الدائم.

قال الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

وقال الشاعر واصفاً أصحاب الإمام عليه السلام:

كيف تهنيني الحياة وقلبي ... بعد قتلى الطفوف دامي الجراح

بأبي من شروا لقاء حسين ... بفراق النفوس والأرواح

أدركوا بالحسين أكبر عيد ... فغدوا في منى الطفوف أضاحي[1]

❁ **قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾**.

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة جاءت جواباً لتلك النيات الخالصة والمساعي الصادقة لأهل البيت عليهم السلام **﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾**، فلما كان الله تعالى هو قصدهم وهدفهم الوحيد من أعمالهم الصالحة، لهذا جازاهم على ذلك خير الجزاء وشكر سعيهم.

(١) مثير الأحزان: ١٣٦.

(س) لماذا التشكر الكثير؟

(ج) ١- إن القول للمؤمن وهو في الجنة، بأن النعم إنما هيئت لك شكراً وجزاءاً لأعمالك الصالحة وجهادك الواسع في الحياة الدنيا، يبعث السرور والابتهاج في نفسه، كمن يأخذ مالاً بعد أداءه للعمل بالشكل الكامل والمطلوب.

٢- فيه تذكيرٌ لعظَم فضل الله عز وجل وجزاءه، حيث إن عطاءه وجزاءه أكبر بكثير مما قام به الإنسان من جهود وأعمال في الحياة الدنيا.

٣- وقال العلامة الطباطبائي ﵀: يخاطب الله تعالى أهل الجنة بهذا الخطاب وذلك عند توفيته أجرهم، ويالها من كلمة طيبة تطيب بها نفوسهم.

٤- وقال صاحب تفسير الأمثل: لئلا يتصور أحدٌ منا أن هذا الجزاء والعطاء أعطي من دون مقابل، بل إنه جاء بعد السعي الكثير والعمل الخالص لله تبارك وتعالى.

وقال البعض: إن شكر الله تعالى للإنسان، نعمة ما فوقها نعمة وموهبة أعلى من كل المواهب[1].

(س) كيف يتم شكر الله عز وجل لعباده الصالحين في الجنة؟

(ج) يفهم أصحاب الجنة الشكر من الله عز وجل على أعمالهم في حياتهم الدنيا وذلك لما يرون الثواب والعطاء الكبير مقابل عملهم القليل، فرضاه عنهم بالقليل من الطاعات وإعطاءهم الجزاء الكثير، يتحقق شكره تعالى لهم بقوله: ﴿**وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً**﴾.

(س) لماذا لم تذكر الآيات الحور العين التي ستُقدّم لأهل الجنة وهي من أهم ما يذكره القرآن عند وصفه لنعم الجنة؟

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٩ ص٢٣٩.

(ج) ١- قال العلامة الطباطبائي: يمكن أن نفهم من الآيات أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات، من هي من النساء فلرعاية حرمتهن ومقامهن المقدس، لم تذكر الآية ذلك.

٢- وقال الألوسي في تفسيره (روح المعاني): ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم (في أهل البيت عليهم السلام)، أنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين وإنما صرّح بالولدان المخلدين، رعايةً لحرمة البتول وقرة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[1] فاطمة الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام).

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾.

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) لمّا ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة نعيم الجنة وما أعدّ فيها للأبرار والأخيار فإن النفوس تتوق وتتمنى الحصول على هذه النعم بأسرع وقت وبأسهل الشروط، جاهلة السعي الذي يجب أداءه لذلك.

لهذا جاءت الآية المباركة لتشير إلى نزول القرآن التنجيمي الذي يتماشى مع هدف القرآن في بناء شخصية الإنسان، فلأجل أن يصل الإنسان إلى رغباته وتطلعاته السامية فلابدّ أن يجتاز الطريق الموصل للهدف وذلك بالسعي والاجتهاد، ويمكن لنا أن نصوّر الجنة كقمة الجبل، فمن يريد الوصول إلى القمة فلابدّ أن يقطع الطريق المؤدي إليه ببذل الجهد والسعي الكافي لذلك. جاء في الحديث «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

٢- ولعلّ الآية تشير إلى سنّة الله تعالى في خلقه، وهي لزوم قطع الخطوات والتدرج في الوصول إلى الكمال، فكما أن القرآن لا يمكن له أن يأخذ حقه ونصيبه

---

(١) الميزان: ج٢٩ ص١٣١.

الكامل في التطبيق إلا بنزوله تدريجياً، فكذلك الإنسان لا يمكن له الوصول إلى الكمال إلا بالتدريج، فلذا عليه بالجهاد والصبر الدائمين.

۞ **قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ❖ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ❖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾.**

(س) ما علاقة الآيات بالآية السابقة؟

(ج) فكأنما الآيات جاءت لتبين الحقائق والشروط التي يجب أن يمتلكها المؤمن لأجل الوصول إلى الهدف وهي:

١- التسليم الكامل لله عز وجل، قال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾**.

٢- الاستقامة أمام خطوط الضغط، قال تعالى: **﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾**.

٣- تربية النفس بالهداية الإلهية، قال تعالى: **﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ❖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾**.

(س) ما المراد من الصبر لحكم الله تعالى بقوله: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾**؟

(ج) ١- التسليم الكامل لقضاء الله تعالى وقدره، وحكم الله هو تبديره لخلقه وكذا رسالته السامية إلى الناس[١].

٢- الصبر لسننه تعالى في الحياة، منها التدرج في الوصول إلى الهدف المنشود.

(س) من هو الآثم والكفور، اللذان يجب صدهما بقوله: **﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾**؟

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص١٩١.

(ج) ١ - قال الفخر الرازي في تفسيره: الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت، والكفور هو الجاحد للنعمة.

٢- وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله: الظاهر أن المراد بالآثم هو المتلبّس بالمعصية وبالكفور المبالغ في الكفر، فتشمل الآية الكفار والفساق جميعاً[١].

(س) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ أليس جزءاً من الصبر لحكم الله تعالى بقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، فلماذا التكرار؟

(ج) قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أمرٌ بالمأمورات، وقوله: (ولا تطع..) نهي عن المنهيات، دلالة أحدهما على الآخر بالالتزام، لا بالتصريح، والتصريح هنا أفضل ومفيد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

(س) ما الفائدة من هذا النهي وأنه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يطيع أحداً منهم؟

(ج) إنه من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة) والمكلف يحتاج إلى مواصلة التنبيه والإرشاد، لما فيه من النفس الأمارة بالسوء، والشهوات الداعية إلى الفساد، وما من أحد إلا ويحتاج إلى تسديد الله وتثبيته وإرشاده حتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ❖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾.

(س) ما هذه الأوقات التي يأمرنا الله سبحانه وتعالى التسبيح فيها؟

(ج) ١ - البكور هو أول الصباح، والأصيل هو أول الليل، وقيل إن (بكرة)

---

(١) الميزان: ج٢٠ ص١٤١.

(٢) الإسراء: ٧٤.

يعني صلاة الصبح، و(أصيلا) يعني صلاتي الظهر والعصر، و(من الليل) إشارة إلى صلاتي المغرب والعشاء.

٢- وأما قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآية وقال: ما ذلك التسبيح؟ قال: صلاة الليل، الآيتان كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ﴾[١].

(س) لماذا جاء الأمر بالصلاة والتسبيح بعد الأمر بعدم إطاعة الكفار والفساق؟

(ج) يظهر أن الصلاة والتسبيح والمداومة عليهما هما الزادان الأساسيان اللذان يحتاجهما المؤمن في سيره الصالح إلى الله تبارك وتعالى، وفي حركته الإيمانية السليمة في المجتمع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾.

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) لما خاطب الله تبارك وتعالى رسوله بالتعظيم والنهي والأمر، عَدَل إلى شرح أحوال الكفار والمتمردين، فقال تعالى إن الذي حملهم على الكفر وترك العمل للآخرة هو استحبابهم للشهوات واللذّات العاجلة لهذه الدنيا الدنية، وليس أمراً آخراً من شبهة علمية أو دليل صحيح فكن ملتفتاً إلى هذا الأمر[٢].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾، بينما الآخرة أمامهم وهم متجهون إليها شاءوا أم أبوا كما قال الإمام علي عليه السلام: «نفس المرء خطاه إلى أجله»؟

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) الفخر الرازي: ص٢٦٠.

(ج) ١- لمّا لم يلتفت الكفار إلى الآخرة وأعرضوا عنها، فكأنهم جعلوها وراء ظهورهم.

٢- المراد ويذرون وراءهم السعي لليوم الثقيل فأسقط المضاف.

٣- وقيل أن وراء تستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى (من وراءه جهنم) وقوله: (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً)[١].

(س) ما السبب في وصف يوم القيامة بأنه يوم ثقيل؟

(ج) وذلك لشدّته وعظمته، من الشيء الثقيل الذي يتعب حامله كما قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾.

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) كأنما الآية المباركة جاءت لتعترض عليهم إعراضهم عن الله عز وجل واليوم الآخر، فتقول لهم إذا كنتم تحبون العاجلة فعليكم أن ترغبوا إلى الله وتطيعوه من جهتين:

١- إنه هو الذي خلقكم وأعطاكم الأعضاء السليمة لأجل الوصول إلى اللذّات الدنيوية.

٢- إنه قادر على أن يميتكم وأن يسلب النعمة عنكم، فلذا إن إعراضكم عن ربكم هو سفهٌ كبير أنتم عنه غافلون[٢].

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر السابق.

(س) ما المراد من شدّ أسر الإنسان بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾؟

(ج) قال أهل اللغة الأسر هو الربط الوثيق، ومنه الأسير: لأنه كانوا يشدونه بالقيد، فقيل في معنى الآية:

١- عن قتادة ومجاهد: أي قوينا وأحكمنا خلقهم.

٢- وقيل: أي أحكمنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب، ولولا هذه الأحكام لما أمكن العمل بها والانتفاع منها.

٣- وقيل جعلناهم أقوياء عن الجبائي.

٤- وقيل كلفناهم وشددناهم بالأمر والنهي كيلا يتجاوزوا حدود الله، كما يشد الأسير بالقيد لئلاّ يهرب[1].

(س) قال البعض إن استخدام كلمة الأسر توحي إلى أن الإنسان أسيرٌ ومقيدٌ في هذه الدنيا فهل هو كذلك؟

(ج) إذا فكّر الإنسان بوجوده وتكوينه يجد نفسه أسيراً من عدة جهات، منها:

١- إنه محكوم بقوانين الله عز وجل وسننه في الحياة فلا يمكن له أن يتجاوزها ويرفضها بل عليه الخضوع لها كاملاً، كالنمو والتنقل.

٢- إنه مأمورٌ بحفظ أعضاء جسده من النقص والخلل فإذا أصاب مرضٌ قلبه أو كبده أو معدته فإنه سيجد الأذى الكثير منه.

٣- إنه مأمور لأجل الوصول إلى حاجياته المادية والمعنوية، بأن يقطع المراحل الكاملة إلى ذلك، وهي نعمة جعلها الله سبحانه وتعالى في خلقه ولولاها لفسد

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٤١٢-٤١٣.

الناس جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[1].

٤- لا يمكن له الفرار من قبضة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[3].

وقال تعالى في هذا المجال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطَانٍ ❖ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾[4].

٥- لا يمكن دفع أبسط الأمور إذا أرادت إيصال الأذى إليه، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مسكين ابن آدم تنته العرقة وتؤلمه البقة وتقتله الشرقة».

٦- بما أنه في دار الامتحان لذا تأتيه الابتلاءات والآلام من كل مكان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[5].

٧- سعادة الإنسان مرتبطة بمدى علاقته بربه (جل وعلا) فإذا كانت علاقته سليمة، يجد السعادة والراحة، وإذا كانت سقيمة يجد البلاء والشقاء، قال تعالى:

---

(١) الشورى: ٢٧.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) النساء: ٧٨.

(٤) الرحمن: ٣٤-٣٦.

(٥) البلد: ٤.

﴿أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ، إذاً فالإنسان أسير ومقيد في أمور عديـدة وكثيرة في حياته ، وآخرها أنه مقيد بالرجوع إليه عز وجل وذلك بأوضح صور الأسر الإلهي للإنسان وهو الموت الذي قهر عباده به ، قال تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ . وهناك الكثير من الأمور الأخرى يجد الإنسان نفسه أسيراً أمامها .

❁ **قال تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ .**

(س) لماذا قال عز وجل : ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ﴾ ولم يقل غيرهم؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أن غيرهم من البشر المخلوقين جديداً أيضاً يمتلكون صفة العجز والضعف والمحدودية ، وإنهم لا يعجزون الله شيئاً بل تحت سلطته وإرادته .

(س) ما فائدة التبديل الذي ذكره الله سبحانه وتعالى؟

(ج) ١- في الآية إشارة إلى قدرة الله عز وجل المطلقة في مخلوقاته جميعها حيث إنه قادرٌ على أن يهلك ما يشاء ويخلق ما يشاء .

٢- لعلّ في المتبدل أو المخلوق الجديد خيراً وصلاحاً ، لم يكن موجوداً في المخلوق السابق .

قال تعالى : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ❁ وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ﴾ .

(س) لماذا قال تعالى : ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ ولم يقل : وإن شئنا؟

(ج) قال الفخر الرازي : إذاً وإن حرف شرط ، إلا أن حرف (إن) لا يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع ، فلا يقال إن طلعت الشمس أكرمتك ، أما حرف إذا فإنه يستعمل فيما كان معلوم الوقوع ، تقول آتيك إذا طلعت الشمس ، فلما كان الله عالماً

بأنه سيأتي وقت يبدل فيه الكفرة بأمثالهم في الخلقة وأضدادهم في الطاعة، لهذا حسن استعمال حرف إذا[١].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾؟

(ج) ربنا سبحانه وتعالى جعل مشيئة العبد متوقفة في وجودها على مشيئته، فإذا اختار العبد الصلاح فقد اختار الله له ذلك من قبل، ولعل جعل المشيئة مرتبطة بين الطرفين وذلك لتوثيق العلاقة وتحكيمها ولكي يبقى الإنسان متصلاً بربه ولا ينساه أبداً[٢]، قال تعالى: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾[٣].

وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤].

ولعل في هذا الارتباط نوعاً من التحفيز والتشويق للإنسان بأداء الصالحات فإذا اختار الإنسان عملاً صالحاً وإنه يعرف بأن الله عز وجل قد دعاه من قبل على أداءه وسيثيبه عليه، وإنه تعالى يشاء هذا السبيل له، فبهذه الصورة سوف ينطلق لأداء ذلك العمل.

(س) لماذا لا يترك الإنسان مطلقاً في اختياره للأعمال، بل جعل الله تعالى مشيئته مرتبطة بمشيئته؟

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦١.

(٢) فعندما يعرف الإنسان بعد أن يؤدي واجباته، بأن ما سيتحقق له في المستقبل هو ما يريده الله عز وجل له، وأنه لا يريد له الصلاح، فإن هذا الأمر سوف يبعث الراحة والاطمئنان والتوكل في قلبه ولا يفكر بعدها بالنتائج ماذا ستكون، بل يرى كل ما يأتيه هو خيرٌ لأنه من الله العزيز الرحيم الودود.

(٣) غافر: ٣١.

(٤) يونس: ٤٤.

(ج) بما أن الإنسان مخلوق صغير في هذا الكون العظيم، وإنه يتأثر بأقل المؤثرات الخارجية من حرٍّ وبرد وأذى المخلوقات الأخرى، ومن جانب آخر له طلبات كثيرة وقد وفّرها الله له بقوله: **﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾**، وبما أنه مخلوق لهدف سامي، ولم يخلق عبثاً، بل سيرجع إلى ربه ومعه صحيفة أعماله فلذا لا يمكن له بعد هذا أن يترك وشأنه بل لابد من الأخذ بيده وتشجيعه على أداء الصالحات.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين».

وقال عليه السلام: «الله تبارك وتعالى أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون (يجبرهم)، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[1].

وبما **﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾**، عليم بأحوال خلقه، وحكيم يضع الشيء في موضعه، لهذا جعل مشيئة العبد مع مشيئته وذلك لكي تستقيم حياته وتسير أموره بصورة سليمة، فهو تعالى لا يجبر خلقه لكي يلغي دورهم وإرادتهم، ولا يطلق لهم العنان بصورة كاملة لكي لا يعيشوا ويفسدوا وينفصلوا عنه، بل جعل الأمر بين الأمرين.

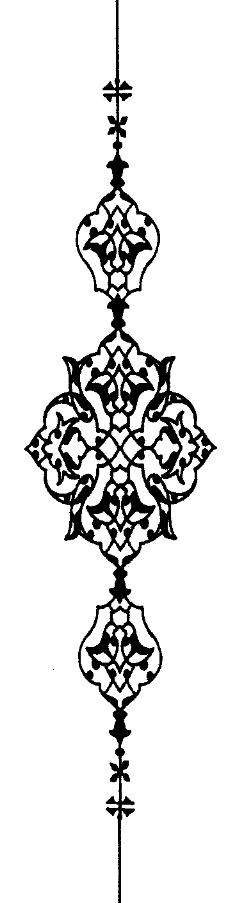
۞ قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

هنا لما جعل الله تبارك وتعالى المشيئة بينه وبين عباده بأفضل حالة وصورة، فتح باب الاختيار بمصراعيه أمامهم دون أن يُكره أحداً على الهداية أو الضلال، فمن شاء رحمة الله عز وجل وفضله في الدنيا والآخرة وسعى لذلك، فإنه يعطيها له، ومن أعرض عنه واختار الطريق الباطل الذي يرفضه العقل والفطرة، فسوف يعاقب على

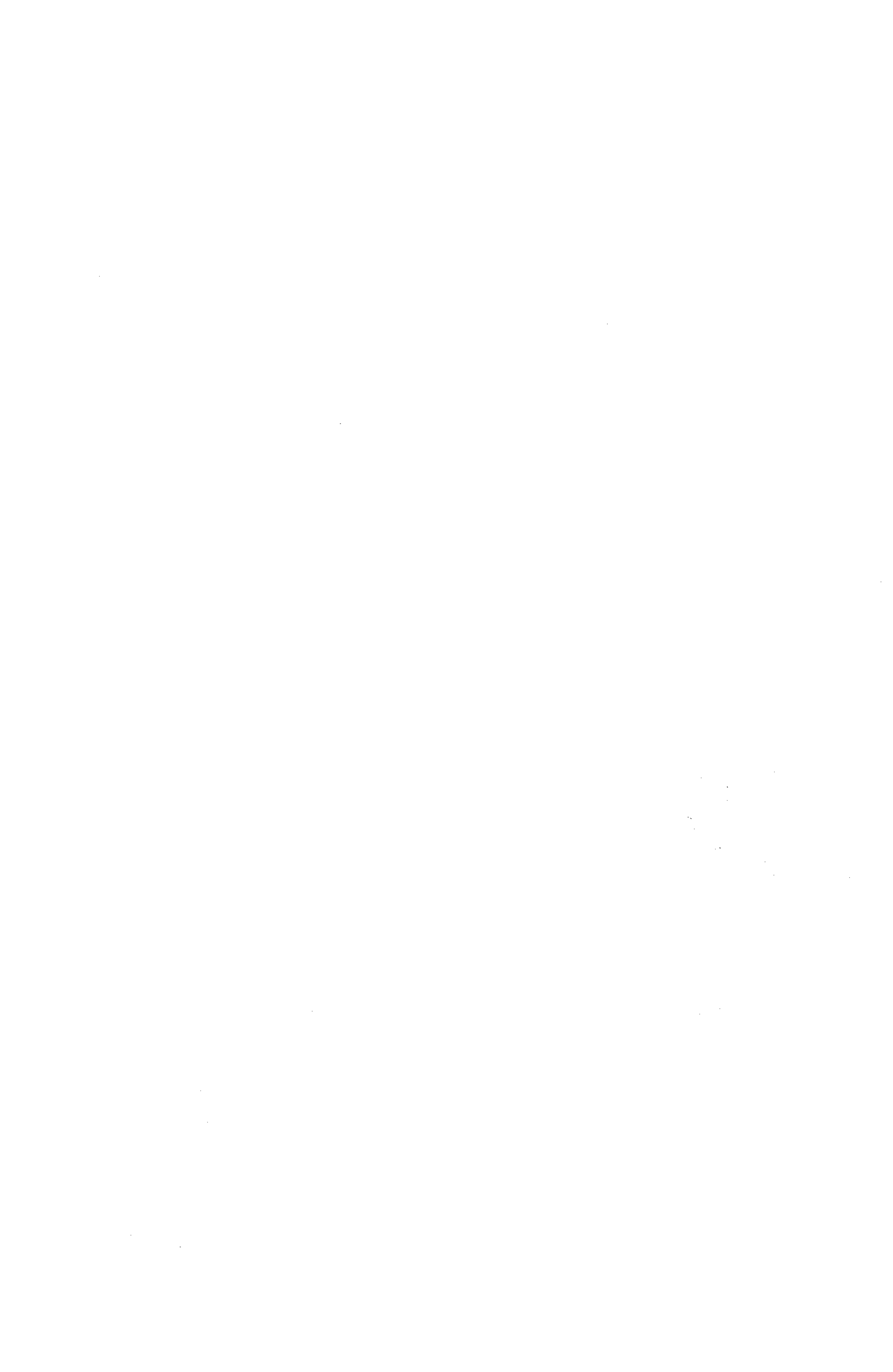
(١) توحيد المفضل: ص٣٦٠.

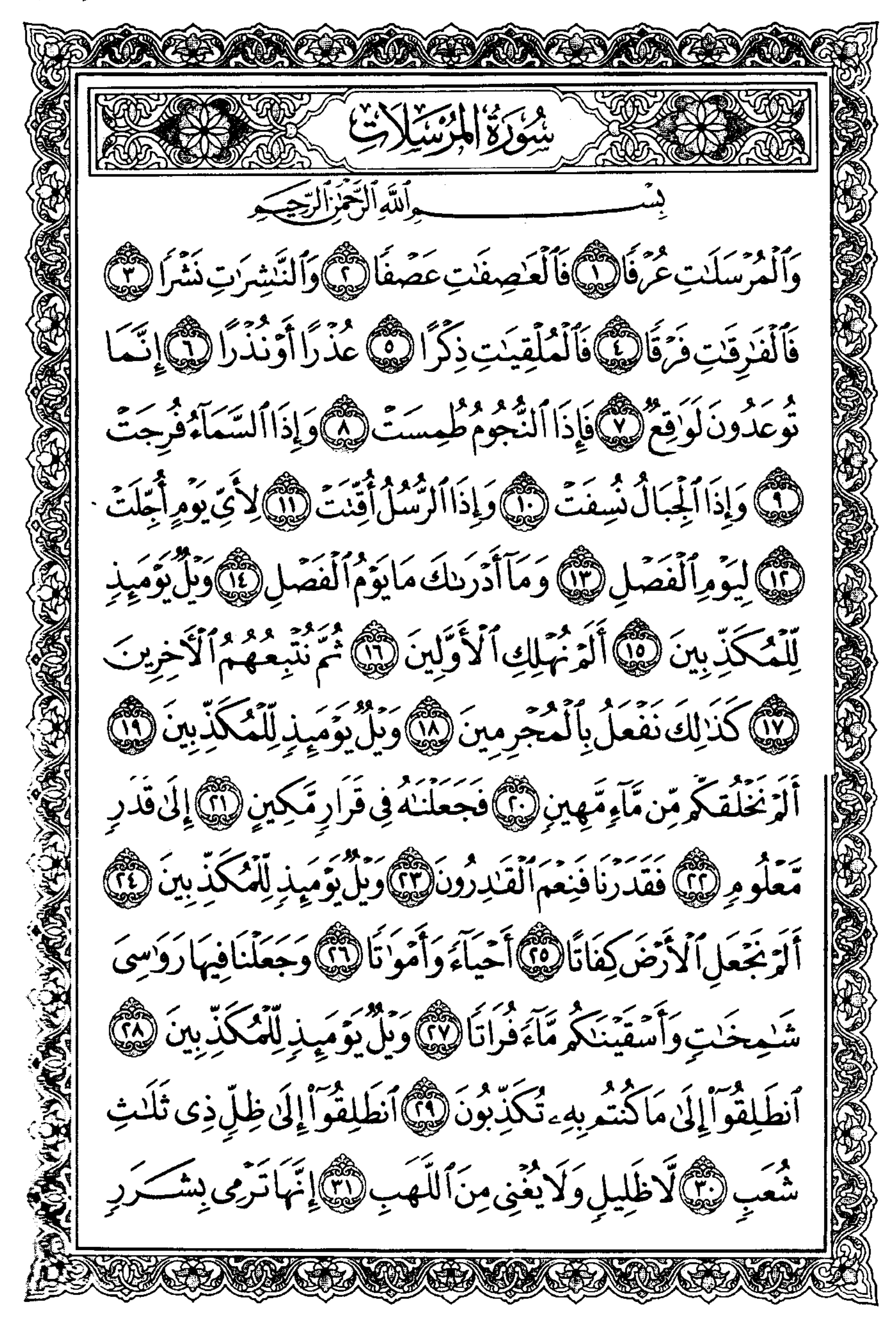
اختياره هذا، قال عز وجل: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.





سورة المرسلات

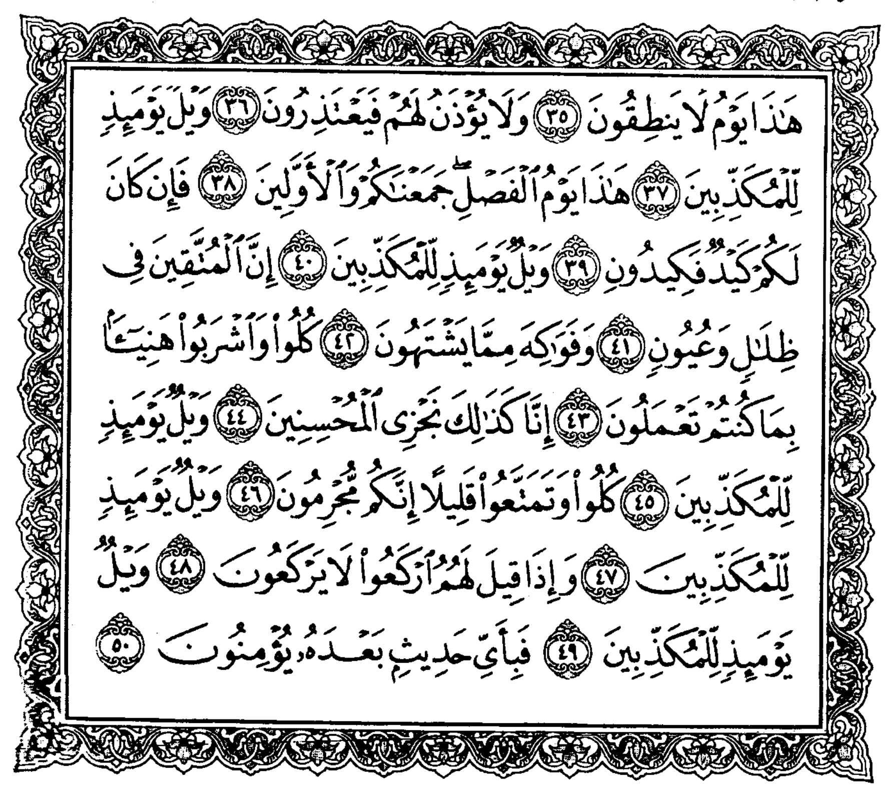




سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ



هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

فضلها:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « من قرأ (والمرسلات عرفاً) عرّف الله بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم »[1].

لاشك أن القراءة هذه مشروطة بالعمل والصلاح، إذ القراءة وحدها لا تكفي، لأن شرط دخول الجنة اثنان، الإيمان والعمل الصالح.

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٤٨٧.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ❖ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[1].

مفردات السورة:

المرسلات: المنبعثات، والإرسال خلاف الإمساك.

عرفاً: العرف هو الشعر النابت على عنق الفرس، ويشبّه به الأمور إذا تتابعت.

العاصفات: العاصفة هي الرياح الهابّة بشدّة.

الناشرات: الباسطات.

الفارقات: التفريق هو التمييز والفصل.

الطمس: محو الأثر على الشيء.

فُرجت: شقت.

نُسفت: قُلعت من أصلها.

أقتَت: عيّن لها الوقت، أو بلغت الوقت.

الأجل: المدة المضروبة للشيء.

مهين: حقير.

القرار: المكان الذي يمكن أن يطول مكث الشيء فيه.

المكين: المتمكن.

الكفات: السكن والوعاء.

الظليل: من الظلة وهي السترة.

اللهب: الذي يعلو من ألسنة النار وحر لفحها.

---

(١) الصف: ٢-٣.

موضوع السورة:

تتحدث السورة عن يوم القيامة، وتؤكد على وقوعه بمجموعة أقسام بدأت بها، وفي السورة وعيد شديد للمكذبين، وإنها ذكرت قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات، وإن يوم القيامة هو أظهر مصاديق الوعود الإلهية الواقعة، وإنه يوم لابدّ منه، هذا ما يدعوا إليه العقل والضمير والفطرة، وتحصل مع مجيء القيامة الكبرى، حوادث كونية رهيبة، منها تطمس النجوم، وتشق السماء، وتنسف الجبال، وتشهد الرسل على أممها عند الحساب كما تشهد الأرض وأعضاء جسم الإنسان، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ❖ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]. فـ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

الأسئلة والأجوبة:

❁ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً﴾.

(س) ما هي المرسلات ولماذا وصفت بالعرف؟

(ج) هناك قولان أساسيان في تأويل (المرسلات):

١- الرياح.

٢- الملائكة.

ووصفت بالعرف وذلك لتتابعها كعرف الفرس، عن ابن مسعود وابن عباس «فعلى هذا يكون (عرفاً) نصباً على الحال، من قولهم: جاؤوا إليه عرفاً واحداً أي

---

(١) فصلت: ٢١-٢٢.

متتابعين»[١]، وقيل إن المراد من (عرفاً) أي إنها أرسلت بالمعروف والخير من أمر الله ونهيه[٢]، وكل ما يصدر منه تعالى هو خير ورحمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣].

(س) كيف يمكن فهم تتابع المرسلات في سيرها وانبعاثها كالعُرف كما قالت الآية المباركة؟

(ج) إن الملائكة والرياح إنما تنبعث وتنطلق في مهامها المختلفة والمتنوعة مع صدور الأمر الإلهي لها دون أي تأخير وترديد ونقص، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٤].

(س) كيف استدلّ المفسرون على أن المراد من (المرسلات) هي الرياح؟

(ج) ١- بما أن الرياح هي جندٌ من جنود الله تبارك وتعالى لذا فهي تتحرك وفق وصول الأوامر إليها.

٢- قال رسول الله ﷺ: «الرياح ثمان: أربع منها عذاب، وأربع منها رحمة، فالعذاب منها: العاصف والصرصر، والعقيم والقاصف، والرحمة منها: الناشرات والمبشرات، والمرسلات والذاريات. فيرسل الله المرسلات فتثير سحاباً، ثم يرسل المبشرات فتقلع السحاب، ثم يرسل الذاريات فتحمل السحاب فتدرّ كما تدرّ اللقمة، ثم تمطر وهي اللواقح، ثم يرسل الناشرات فتنشر ما أراد»[٥].

---

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٤١٥.

(٢) المصدر.

(٣) ٣٥: ١٥.

(٤) الفتح: ٤.

(٥) الدر المنثور: ج٦ ص٣٠٣.

قام رجلٌ إلى الإمام علي عليه السلام فقال: ما العاصفات عصفاً؟ قال: (الرياح)[١].

(س) قال بعض المفسرين أن المراد من الآية هي الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، كيف وصفت بذلك والكثير يرى الحوادث الدنيوية ليست معروفاً وخيراً؟

(ج) إن الذي يرى وقوع الحوادث الكونية من الزلازل والسيول والصواعق وغيرها ليست أموراً صالحة منه تعالى فهو إما ضعيف الإيمان أو لا يملك من الإيمان والمعرفة شيئاً، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢].

إنَّ الحوادث الكونية الطبيعية نوع من التنبيه والتحذير للغافلين وفي بعضها الآخر عقوبة صارمة للظالمين والكافرين.

(س) ما هي المجانسة الموجودة بين الرياح والملائكة لكي يجمع الله بينهما في القسم؟

(ج) ١- قال الفخر الرازي في تفسيره: إن الملائكة روحانيون، فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركتهم كالرياح[٣].

٢- لعلّ هناك تشابهاً آخراً بينهما من حيث القدرة والقوة ومن ناحية العمل وأداء المهام، كلاهما جنديان مطيعان لله تبارك وتعالى، فكما أعطيت القدرة الكبيرة للملائكة لأداء مهامها، بحيث تفعل ما تؤمر دون نقص وخلل، كما قال تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤]، كذلك الرياح فإنها تفعل ما

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٧.

(٤) التحريم: ٦.

تؤمر وتملك من القوة ما بإمكانـها القضـاء علـى أقـوى الحضـارات البشـرية ، قـال عـز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ❖ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ❖ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِـي الْبِلادِ﴾[١] .

عن كيفية إهلاكهم قال تعالى : ﴿وَأَمَّا عَـادٌ فَـأُهْلِكُوا بِرِيـحٍ صَرْصَـرٍ عَاتِيَـةٍ ❖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّـهُمْ أَعْجَـازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ❖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[٢] .

٣- إن الـهدف الأساسـي مـن عمـل الملائكـة والريـاح يصـب في قنـاة واحـدة مشتركة ، وهو الوصول إلى الوعد الإلهي السـامي الـذي كتبـه الله تعـالى علـى خلقـه بقوله عز وجل : ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[٣] ، وقوله : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ .

(س) ربنا سبحانه وتعالى أقسـم في كتابـه الشـريف بـأمور عديـدة عظيمـة وذلـك لإلفات أنظارنا وعقولنـا إليـها فمـا هـي الجلالـة الموجـودة في الملائكـة والريـاح إن قلنـا بأنهما المقصودان من الآية المباركة ؟

(ج) أ) أما عن جلالة الملائكة :

١ - إنهم : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤] .

٢- ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٥] .

٣- منهم من يرسل لإنزال الوحي على الأنبياء عليهم السلام : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ❖

---

(١) الفجر : ٧-٩ .

(٢) الحاقة : ٧-٩ .

(٣) العلق

(٤) النحل : ٥٠ .

(٥) الأنبياء : ٢٧ .

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ❁ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[١].

٤- ومنهم من يرسل لحفظ وتسجيل أعمال الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ❁ كِرَاماً كَاتِبِينَ ❁ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٣].

٥- ومنهم من يرسل لقبض الأرواح وغير ذلك من الأعمال.

٦- ومنهم من يرسل لنصرة المؤمنين في ساحات القتال عسكرياً ومعنوياً.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٤].

وقال عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[٥].

وهناك أعمال كثيرة أخرى للملائكة، ذكر القرآن الكريم بعضها وبعضها لم يذكرها، الله أعلم بها.

ب) وأما الرياح فمنها:

١- تُلَقِّح النبات، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ..﴾[٦].

---

(١) الشعراء: ١٩٤-١٩٦.

(٢) الانفطار: ١١-١٣.

(٣) الطارق: ٥.

(٤) الأنفال: ١٠.

(٥) ٨: ١٣.

(٦) الحجر: ٢٢.

٢- ومنها تحرك السحاب وتوزعه حيث أراد الله تعالى، قال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾(١).

٣- ومنها تحرك السفن، فتتحرك من خلاله عجلة الحياة الاقتصادية للإنسان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٢).

٣- ومنها تحمل العذاب الأليم، وإن بعضها قادرة على إهلاك الإنسان واقتلاعه بصورة كاملة. قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾(٣).

وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(٤).

وبما أن الرياح جندٌ من جنود الله سبحانه وتعالى لذا فكل عمل تقوم به هو عرف وخيرٌ على طول الخط كما قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾، وإن فكر الجهال على أن بعضها لا تحمل معروفاً ونفعاً.

❁ **قال تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾.**

(س) ما هي العاصفات ولماذا وصفت بهذا الوصف؟

---

(١) الروم: ٤٨.

(٢) الشورى: ٣٣.

(٣) ٥١: ٤١.

(٤) الأحقاف: ٢٥.

(ج) يمكن أن يكون المراد منها هي الرياح والملائكة، ووصفا بالعصف وذلك لسرعتهما البالغة في تأدية مهامها.

فالرياح تسرع في حمل المطر والخير إلى الخلق، والملائكة تسرع في سيرها كالرياح العاصفة لأداء أعمالها.

(س) لماذا هذه السرعة؟

(ج) ١- من الواضح أنَّ غالبية الناس غافلون بل نائمون ناسون أنفسهم بما نسوا الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿**نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾ وكما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا».

فالغالبية لا يعرفون قدر أنفسهم ولا ثمن العمر الذي وضع بين أيديهم الذي عن طريقه يمكن لهم الحصول على الدرجات العالية عند الله تعالى، ولكنهم سيعرفون قيمة ذلك ساعة رحيلهم من هذه الدنيا عندما تنزاح عنهم الحجب والأغطية التي وضعوها على منافذ معرفتهم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[1].

ولهذا يطلبون الرجوع إلى الدنيا، لإصلاح ما فات، قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[2].

لذا فلعل في قوله عز وجل: ﴿**فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً**﴾ تنبيهٌ لهذا الأمر، فكما الملائكة والرياح سريعتان في عملها، فعلى الإنسان أن يكون كذلك إذ إن «إضاعة

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) ٢٣: ٩٩-١٠١.

الفرصة غصة» كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٢- لعلّ سبب السرعة في حركة جنود الله عز وجل هو ما يقتضيه الأمر، حيث إن عمر المكلف محدود، ومن المتعين أن يأخذ نصيبه مما كُتب له في هذه الحياة، لهذا فالعمل يكون سريعاً لتحقيق المهام بالشكل المطلوب[١].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الرحيل وشيك»[٢].

وقال عليه السلام: «نفس المرء خطاه إلى أجله»[٣].

وقال عليه السلام: «كل معدود منقوص، وكل متوقع آت».

۞ قال تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾.

(س) ماذا تنشر الناشرات؟

(ج) أ) إذا قلنا أنها الرياح فهي تنشر:

١- السحاب في الآفاق، قال تعالى: **﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾**[٤].

٢- وتنشر المطر والرحمة الإلهية، قال تعالى: **﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾**[٥].

وقال عز وجل: **﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾**[٦].

---

(١) من هدى القرآن.

(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الروم: ٤٩.

(٥) الروم: ٤٩.

(٦) الشورى: ٢٨.

٣- وتنشر الحبوب واللقاح في بقاع الأرض المختلفة.

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[(١)].

٤- كما إنها تحمل العذاب والبلاء للأقوام الظالمين، قال تعالى: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)].

ب) إذا قلنا بأنها الملائكة فهي:

١- ينشرن أجنحتهنّ في الجو عند نزولهن بالوحي[(٣)].

٢- وتنشر الكتب عن الله عز وجل[(٤)].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[(٥)].

٣- وتنشر الرحمة والعذاب: قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[(٦)].

٤- وتنشر الكتب يوم الحساب[(٧)].

۞ قال تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾.

(س) ما هو الشيء المفروق بفعل الفارقات؟

---

(١) الحجر: ٢٢.
(٢) الأحقاف: ٢٤.
(٣) الكشاف: ج٤ ص٤١٠.
(٤) التبيان: ج١٠ ص٢٢٣.
(٥) الحج: ٧٥.
(٦) ٨: ١٣.
(٧) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٤.

(ج) ١- تفرق الرياح السحاب فتبدده بعد اجتماع، ليقف المطر ولتطلع الشمس، ويظهر وجه السماء بعد الغيب» عن مجاهد[١].

٢- تفرق الملائكة بين الحق والباطل بما تتنزل به من الآيات والوحي عن الله تعالى على رسله[٢].

۞ قال تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ❖ عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾.

(س) ما هي الملقيات ذكراً؟

(ج) ١- إنها الملائكة وقيل هي الرياح بأنواعها وما تسبب في نزول المطر وإحياء الأرض بعد موتها.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

٢- لعلّ الآيات الأخرى الدالة على الله سبحانه وتعالى مقصودات أيضاً في الآية المباركة، وهي الرسالية والرسولية والكونية والنفسية والعقلية والفطرة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم»[٤].

(س) ماذا تلقي المرسلات؟

(ج) ١- إن من أهم ما تحمله الرسل في رسالتها التبليغية هو التأكيد على حتمية مجيء يوم القيامة وإنه يوم يرجع فيه الإنسان إلى الله تعالى، فيحاسب على كل

(١) مجمع البيان: ج١٠ ص٢٦٦.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٦.

(٣) فصلت: ٤٠.

(٤) نهج البلاغة: ح٢٥٠ ص٥١١ شرح صبحي الصالح.

صغيرة وكبيرة، والملقيات تحمل هذه الرسالة والدعوة الكبرى من خلال رسالتها ودورها الإلهي، الذي كُلفت به.

٢- يحتمل أن يكون الذكر الملقى مطلق العلم والحكمة، كما قال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾.

٣- ويحتمل أن يكون المراد من الذكر هو القرآن خاصة وهو قوله: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾[١].

(س) ما الفرق بين العذر والنذر؟

(ج) قيل إن العذر هو إقامة الحجة وإتمامها على المكذبين، ليكون عذراً يعتذر به الله عز وجل في العقاب، أنه لم يكن إلا على وجه الحكمة[٢]. والإنذار عام.

۞ قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلات عُرْفاً ❖ فَالْعَاصِفَات عَصْفاً ❖ وَالنَّاشِرَات نَشْراً ❖ فَالْفَارِقَات فَرْقاً ❖ فَالْمُلْقِيَات ذِكْراً﴾.

(س) ما سبب دخول (الفاء) في بعض ما وقع به القسم، و(الواو) في البعض الآخر؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: «إن (الفاء) عند أهل اللغة تقتضي الوصل والتعلق، فإذا قيل قام زيد فذهب، فالمعنى أنه قام ليذهب، وإذا قيل قام زيدٌ وذهب فهما خبران كل واحد منهما قائم بنفسه منفصل ولو قليلاً، فعلى هذا الأساس يجب فهم الآيات المتقدمة»[٣].

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٥، والآية من سورة ص:

(٢) تفسير الميزان: ج٢٠ ص١٤٧.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٨.

(س) إذا قلنا بأن المراد من الملقيات ذكراً هي الرياح، فكيف تلقي عذراً ونذراً؟

(ج) إن حركة الرياح سواء كانت رياح عذاب أو رحمة، تحمل معها آيات ودلالات تشير إلى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى وإنه لم يخلق الأشياء إلا لحكمة وهدف كبير، ثم إن المطر النازل بفعل حركة الرياح يذكرنا بالبعث والخروج ليوم الحساب[١]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

لذا فإن الرياح تلقي العذر والنذر على العباد كما الملائكة، وذلك بصورتها الخاصة.

(س) لماذا ذكر الله تعالى الناشرات أولاً ثم الفارقات وبعدها الملقيات؟

(ج) قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «إن الصفات الثلاثة مترتبة، فإن الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام يتحقق بنشر الصحف وإلقاء الذكر، أو لعله تتحقق الحجة الإلهية على الخلق بنشر الصحف أولاً ثم الفرق ثم إلقاء الذكر».

(س) لماذا جاء القسم بهذه الأمور الخمسة دون غيرها؟

(ج) إن الأقسام تتضمن الحجة على مضمون الجواب، أو المقسم لأجله وهو وقوع الجزاء، فإن التدبير الربوبي الموجود في القسم يشير إلى وجود تكليف إلهي وهذا التكليف لا يتم هدفه وكماله إلا مع وجود يوم معد للجزاء سواء للعاصين والمطيعين[٣].

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص٢١٤.

(٢) فصلت: ٤٠.

(٣) تفسير الميزان: ج٢٠ ص١٤٧ (مع تصرف قليل).

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾.

(س) ما هو الوعد الإلهي الذي سيقع؟

(ج) ١ – قال بعض المفسرين المراد به هو يوم القيامة وذلك لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية بعض علامات يوم القيامة.

٢ – قال الفخر الرازي في تفسيره: «وقال الكلبي المراد أن كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع»[(١)].

فعلى هذا فإن جميع الوعود الإلهية التي وعد بها رب العزة تبارك وتعالى في كتابه العزيز ستقع وتحقق وسيشاهدها المكلفون في هذه الحياة قبل الآخرة، فمن الوعود الإلهية التي ستتحقق:

أ) الوعد بنصر المؤمنين ودحر الظالمين، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٢)].

وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(٤)].

ب) الوعد بإظهار الإسلام على جميع الأديان، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[(٥)].

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٩.

(٢) المجادلة:

(٣) الروم: ٤٧.

(٤) غافر: ٥١.

(٥) الصف: ٩.

ونرى اليوم القوى الاستعمارية الكافرة تعمل ليل نهار في نشر الفساد والضلال والأديان الباطلة وتبذل في سبيل ذلك مليارات الدولارات لتحقيق أهدافها المسمومة والظالمة.

لهذا لا يعلو الإسلام على هذه الأديان الباطلة إلا مع ظهور حجة الله عز وجل في الأرض وهو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وهذا ما وعد به الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

(س) لماذا التأكيد على حتمية مجيء الآخرة، وهو أمر بديهي يدعو إليه العقل والفطرة والوجدان؟

(ج) ١- إن موضوع الآخرة يعتبر الحجر الأساس في تفكير الإنسان وحركته نحو الخير والصلاح.

٢- الآخرة غيب وإنها ستقع في المستقبل ولا ندري متى، بينما الله تعالى يريدها أن تكون حاضرة في وعي المكلفين.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾.

(س) ما وجه اتصال الآيات بما سبق؟

(ج) إنها علامات وقوع يوم القيامة ومجيئه، وبعد هذه الأمور يكون بعثرة القبور ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ ويؤتى بالإنسان إلى ساحة القيامة للحساب والجزاء.

(س) ما المراد من طمس النجوم وكيف يحصل ذلك؟

(ج) قال القمي: «يذهب نورها وتسقط»[١]، وقال الفخر الرازي: «يحتمل أن يكون المراد محقت ذاتها وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾[٣]».

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾.

(س) ماذا كانت السماء قبل شقها؟

(ج) كانت محبوكة محكمة لا ثغرة في نظامها ولا منفذ في بنيانها، قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾[٤].

ولعلّ هذه المرحلة الأولى، وتتبعها مراحل متتالية أخرى حتى تنتهي بصورة كاملة.

(س) كيف تنسف الجبال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾؟

(ج) لعل نسفها يتم بفعل دكّها مع أمها الأرض، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾، فتصير كالتراب الناعم على الأرض الملساء المستوية، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ❖ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ❖ لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً﴾[٥].

(س) ما هو السبب في ذكر انشقاق السماء وطمس النجوم ونسف الجبال؟

---

(١) تفسير القمي: ج٢ ص٤٠٠.

(٢) الانفطار: ٢.

(٣) التكوير: ٢.

(٤) النبأ

(٥) طه: ١٠٦-١٠٨.

(ج) إن الهدف من ذكر تبدل نظام الخلقة هو لأجل سلب اعتماد الإنسان عليها، ليكون وجهاً لوجه أمام المسؤولية التي خلق لأجلها[١].

❁ **قال تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ❖ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.**

(س) ما المراد من تأقيت الرسل، وهل أن موعد بعثها واحد أم مختلف؟

(ج) جُعل لها ميعاد محدد في وقت معلوم للانبعاث وفي أرض معلومة ووقت معلوم للشهادة، من هذا نفهم أن حركة الأنبياء وبعثهم، إنما هو وفق برنامج دقيق مدروس سواء كان في الدنيا أو الآخرة، وأنهم يتحركون على أساس حكمة إلهية، وهكذا الأمر بالنسبة لشهاداتهم يوم القيامة.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «بُعثت في أوقات مختلفة»[٢]. والاستفهام في (لأي يوم أجلت) جاء لتعظيم ذلك اليوم.

❁ **قال تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.**

(س) لماذا سميت يوم القيامة بيوم الفصل؟

(ج) ١- لأنه يُفصل بين الناس في اختلافهم ومظلومياتهم بأنواعها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٣].

٢- يفصل بين أهل الجنة وأهل النار.

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص٢١٧.

(٢) المصدر.

(٣) ٢٢ : ١٧.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[(١)].

٣- يفصل فيه الخطاب ويحكم للناس في مصائرهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

(س) لماذا لا يمكن للإنسان معرفة يوم القيامة؟

(ج) بما أن مدارك وقابليات الإنسان محدودة، لا تتجاوز الأمور البسيطة لهذه الحياة، لذا لا يمكن له استيعاب الأمور الكبيرة والرهيبة، التي تحتاج إلى الاستعداد الكافي والكامل، ويعطى للإنسان ذلك يوم القيامة لكي يعرف نفسه وعاقبة أمره.

۞ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(س) متى يكون الويل للمكذبين؟

(ج) إن الويل ويقصد به ألوان العذاب المادي والمعنوي، سيشاهده المكذب بالحق مع دخوله في الدائرة المظلمة المحظورة، ويبلغ الويل أشد درجاته مع قيام القيامة الكبرى، قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[(٢)].

وأنَّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى العذاب الدنيوي الذي يلحق بالمكذبين جزاءاً لتكذيبهم بالحق وبأوامر رب العالمين.

قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾[(٣)].

---

(١) القارعة.

(٢) طه: ١٢٧.

(٣) طه: ١٢٥.

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ❖ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ❖ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ .

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة تبين صورة مصغرة لويل ألحقه الله عز وجل للمكذبين الأولين وكيف أنهم لم يستطيعوا دفع ذلك بما كان عندهم من قوة وأموال وأعداد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنْ اللهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ❖ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] .

(س) كيف يهلك الله الآخرين ومن المعلوم أنه تعالى لم ينزل العذاب على المجرمين في زمن الرسول ﷺ ولا فيما بعد، حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: «لمَ لا يجوز أن يكون المراد من الإهلاك هو الإماتة المستعقبة للذم واللعن، فكأنه قيل إن المتقدمين لحرصهم على الدنيا عاندوا الأنبياء وخاصموهم، ثم ماتوا وهلكوا وبقي اللعن عليهم في الدنيا، والعقوبة الأخروية دائماً سرمداً، وهكذا يكون حال الكفار الموجودين، فإن هؤلاء هلكوا بفعل بقاء اللعن عليهم إلى يوم القيامة، ومعلوم أن هذا الكلام من أعظم وجوه الزجر[2] .

أقول: وكم من أناس حاربوا الله ورسوله ﷺ ولم يسمعوا كلامه فيما أوصى

(١) آل عمران: ١١-١٢ .

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٧٢ .

وبلّغ، ولم يحترموا أهل بيت النبي عليه السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقضوا حياتهم ما بين مسموم وقتيل، وبقي اللعن على قاتليهم من الأمويين والعباسيين إلى قيام يوم الدين، فجاءت نتيجتهم أنهم هلكوا في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[1].

۞ **قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ❖ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ❖ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.**

(س) لماذا جاء التذكير بأصل خلقة الإنسان؟

(ج) جاءت الآيات لتعترض وتستنكر التكذيب من المكذبين، فتقول لماذا التكذيب بآيات الله وبالذات بحقيقة الآخرة وبقدرة الله عز وجل على خلق الإنسان وإعادته إلى الحياة مرة أخرى.

وأنتم معترفون بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً قال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[3].

فالذي قادر على الابتداء قادر على الإعادة أيضاً، وهذا ما يقبله العقل ويدعوا إليه، لا سيما أن أصل وبداية الإنسان كان صغيراً وحقيراً جداً، ولكن بفضل الله وقدرته أنشأه ونمّاه بعد أن مرّ على ملايين القوانين والسنن الإلهية.

لذا فمن الأجدر على هذا الإنسان أن يكون خاضعاً ومتواضعاً لربه سبحانه

---

(١) طه: ١٢٧.

(٢) الزخرف: ٨٧.

(٣) الزخرف: ٩.

وتعالى.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة، ويكون غداً جيفة.. وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى»[1].

❁ قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾.

(س) لماذا وصف الله تعالى الرحم بالقرار المكين؟

(ج) القرار: المكان الذي يمكن أن يطول مكث الشيء فيه[2]، والمكين: المتمكن[3].

وقد وُصف الرحم بهذا الوصف وذلك لتمكنه من حفظ النطفة من الضياع والفساد، أو لكون النطفة مستقرة متمكنة فيه.

❁ قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ❖ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ❖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

(س) ما هو القدر المعلوم؟

(ج) ١- إلى مقدار معلوم، قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما دونها أو ما فوقها[4].

٢- منتهى الأجل[5].

---

(١) نهج البلاغة: حكمة ١٢٦.

(٢) التبيان: ج١٠ ص٢٢٨.

(٣) المنجد: مادة مكن.

(٤) الكشاف: ج٤ ص٦٧٩.

(٥) تفسير القمي: ج٢ ص٤٠٠.

٣- إن الجنين من الناحية النفسية والعضوية وهكذا الزمنية محدد بمقادير ومقاييس إلهية حكيمة لا يعلمها إلا الله عز وجل[١].

٤- قَدَرَه ومَصيره في الحياة، أن يكون ذكراً أو أنثى، تاماً أو ناقصاً فقيراً أو غنياً..[٢]

والمراد من قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

في التبيان: «معناه فقدرنا من القدرة فنعم القادرون على تدبيره»[٣]، وهذا ما احتمله العلامة الطباطبائي في تفسيره وقال: «من القدرة مقابل العجز والمراد فقدرنا على جميع ذلك وقال أي خلقناكم فقدرنا ما سيجري عليكم من الحوادث، وما يستقبلكم من الأوصاف والأحوال من طول العمر وقصره وجمال ومرض ورزق»، وهذا القول أوجه[٤].

۞ **قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً ❖ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ❖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.**

(س) ما مناسبة مجيء الآيات المباركات؟

(ج) إنه نوعٌ آخر من الاحتجاج على الكفار والمكذبين بيوم القيامة قولاً وعملاً، فهل هذه الخلائق العظيمة والجميلة خلقت من دون هدف، بينما هي تشير إلى خالق عظيم خلقها وفق هندسة وبرنامج متكامل يهدف من ورائه غاية عظمى، وإنها لم تخلق عبثاً كما يدّعي الجاهلون.

---

(١) من هدى القرآن: ج١٧ ص٢٢٤.

(٢) المصدر.

(٣) التبيان: ج١٠ ص٢٢٨.

(٤) الميزان: ٢٠ ص١٥٣.

(س) كيف أصبحت الأرض كفاتاً للأحياء والأموات؟

(ج) لما رجع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من صفين نظر إلى المقابر فقال: «هذه كفات الأموات» أي مساكنهم، ثم نظر إلى بيوت الكوفة فقال: «هذه كفات الأحياء» ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً ❁ أَحْيَاءً وأَمْوَاتاً﴾.

إذاً فالأرض وعاء وسكن لجميع الخلائق حيث تجمع الأحياء على ظهرها وتضم الأموات في بطنها وهي لهم كالأم الحنون، ولكن يوم القيامة تلفظهم وترميهم، وذلك بعد أن تنهي مهمتها، وبما أوحى الله تعالى لها. قال عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❁ وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[1].

(س) كيف تكفت الأرض الأحياء والأموات، كما قالت الآية المباركة؟

(ج) ضمت الأرض الأحياء، بعد أن جعلها الله تعالى مهداً وذلولاً تنقاد للإنسان كيفما أراد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾[2].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾[3].

لهذا استطاع الإنسان إحياءها بالزراعة والبناء عليها، وإنجاز أموره الأخرى.

(س) لماذا قال: ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾ بصورة نكرة، وهي كفات الأحياء والأموات جميعاً؟

(ج) التنكير لأجل التفخيم، كأنه قيل تكفت أو تضم أحياء لا يعدون، وأمواتاً

---

(١) الزلزلة: ١-٢.

(٢) النبأ: ٦.

(٣) الملك: ١٥.

لا يحصرون[١].

(س) هل تدلّ الآية على وجوب قطع يد النباش؟

(ج) دلّت الآية على أن الأرض كفات الميت فتكون حرزاً له، والسارق من الحرز يجب عليه القطع[٢].

❁ **قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾.**

(س) ما علاقة الجبال بالماء العذب؟

(ج) لا شك أن كل ماء عذب أصله المطر كما قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾**[٣].

ولكن للجبال الدور الأهم في الإيفاء بهذا الغرض، فإن كثيراً من العيون والقنوات هي من الجبال، وهناك الكثير من الأنهار العظيمة تتغذى من الجليد المتراكم على قمم الجبال.

وبما أن قمم الجبال تكون باردة على الدوام لبعدها عن سطح الأرض الحارة، لذا فهي تحافظ على الجليد المتراكم عليها لمدة طويلة، وبعد تأثرها بحرارة الشمس بصورة تدريجية يتحول الثلج إلى ماء فتتكون بذلك الأنهار، وبهذه الطريقة نرى ربنا سبحانه وتعالى يوصل لنا الماء طيلة أيام السنة دون انقطاع. فهذه نعمة من نعم الله التي لا تحصى قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**[٤].

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٧٤.

(٢) المصدر.

(٣) طه: ٥٣.

(٤) تفسير الأمثل: ج١٠ ص٢٦٣، والآية من سورة إبراهيم: ٣٤.

وقال في سورة النحل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

فويل للذين ينكرون هذه الآيات الدالة على عظيم قدرة الله تعالى، وهم غرقى في النعم الإلهية، ثم ينكرون البعث ومحكمة الجزاء الإلهية الكبرى التي هي أساس العدل والحكمة الإلهية[٢].

۞ قال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ❖ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ❖ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾.

(س) أين ينطلقون؟

(ج) قال المفسرون: إن الشمس تقرب يوم القيامة من رؤوس الخلائق، وليس عليهم يومئذ لباس ولا كنان، فتلفحهم الشمس وتأخذ بأنفاسهم ويمتد ذلك اليوم، ثم ينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظله فهناك يقولون ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ ويقال للمكذبين: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله وعقابه، وقوله: (إلى ظل) يعني دخان جهنم، كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾.

(س) ما هذه الشعب الثلاث؟

(ج) لعله الظل الذي يحصل من الدخان، أو هو الظلام الحالك، وقيل معناه:

---

(١) النحل: ١٨.

(٢) المصدر.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٧٥.

يتشعب من النار ثلاث شعب: شعبةٌ فوقه، وشعبةٌ عن يمينه، وشعبةٌ عن شماله فتحيط بالكافر[١]، والشعبة هي الفرقة والطائفة من الشيء، ويسمى الغصن من الشجرة شعبة، ونفهم من ذلك أن الظل ينشعب إلى ثلاثة أقسام، ولعل المكذّب يلقى في كل شعبة ألواناً من العذاب تختلف عما في الشعبتين الأخريين شدة ونوعاً. فالظل إذاً قطعة من عذاب جهنم[٢].

(س) ما هي بعض مواصفات هذا الظل؟

(ج) ١- ﴿لا ظَلِيلٍ﴾ غير مانع من الأذى أبداً، والظل إنما يتخذ لأجل الستر والراحة ولكن لا يجد الكفار من ظل جهنم شيئاً من ذلك.

٢- ﴿وَلا يُغْنِي مِنَ اللهَبِ﴾ أي لا يدفع عنهم حرّ لهب جهنم[٣].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾.

(س) من أين يأتي الرمي؟

(ج) قال ﷺ: «تزفر النار بمثل الجبال شرراً»[٤]، والعرب تشبه الإبل بالقصور، وعن الضحّاك قال: «أصول الشجر العظام»، المهم أن التشبيه بالقصر كناية عن الضخامة والتشعب معاً.

(س) ما هي بعض مواصفات الشرر؟

(ج) قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾، قيل هي الجمال، وقيل هي قطع

---

(١) التبيان: ج١٠ ص٢٣٠.

(٢) من هدى القرآن: ج١٧ ص٢٢٩.

(٣) من هدى القرآن: ص٢٣٠.

(٤) الدر المنثور: ج٦ ص٣٠٤.

النحاس وهو المروي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام[١] ، بناءً على هذا ينبغي حمله على أنها جمع جَمَل وهو الحبل والسلك العظيم، قال تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٢] .

وقال (صفر) لأن الشرر ما دام ناراً فهو أصفر، وعندما ينطفئ يصير أسوداً ولا يسمى شرراً، وهذا القول عندي هو الصواب[٣] .

وهذه الألوان من العذاب هي بعض ما يلقاه المكذبون من الويل في الآخرة، ولهذا قال تعالى أيضاً: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

۞ قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ❖ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

(س) كيف قال تعالى عن المكذبين بأنهم (لا ينطقون) بينما قال في آية أخرى عنهم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[٤]؟

(ج) لا مانع من ذلك، فإن أهل النار تارة يلجمون بلجام من نار فتحبس ألسنتهم التي سخروها في محاربة الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام ، عن القدرة على الكلام، وتارة يرفع اللجام عنهم ليتكلموا ويطلبوا فيُسمع منهم ثم يعيدوا إذا أرادوا الخروج، وفي هذا تعذيب روحي كبير لهم.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٥] .

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٧٩ .

(٢) الأعراف: ٤٠ .

(٣) الفخر الرازي: ج٣٠ ص٢٧٧ .

(٤) فاطر: ٣٧.

(٥) الحجر: ٢٢ .

كما في مسألة قراءة الكتب ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[1]، وقد حشروا عمياناً بقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

(س) قال الفخر الرازي في تفسيره: كيف يمكن الجمع بين قوله ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟

(ج) قال الحسن فيه إضمار، والتقدير: هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، لأنه ليس لهم فيما عملوه صحيح وجواب مستقيم، فإذا لم ينطقوا بحجة سليمة فكأنهم لم ينطقوا، ونظيره يقال لمن ذكر كلاماً غير مفيد: ما قلت شيئاً[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

(س) لماذا لا يسمح الله لهم بالاعتذار وهو أرحم الراحمين؟

(ج) قال الإمام الصادق عليه السلام: «الله أجل وأعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذرٌ ولا يدعه يعتذر به، ولكنه فلج فلم يكن له عذر»[3].

الأعذار الواهية لا قيمة لها يوم الفصل والجزاء، كالمجرم الذي يدلي بتبريرات تافهة لجريمته البشعة أمام الحاكم فهل من العدل أن يعفى عنه ولا يعاقب، كذلك الأمر في محكمة الله عز وجل الكبرى، فلو ترك الإنسان يفعل ما يشاء في الحياة الدنيا، ثم يفتح له يوم القيامة باب التبرير والأعذار الواهية، لفسدت حكمة الخلق، كلا بل لهم الويل بعد الويل.

---

(١) الميزان: ج٢٠ ص١٥٤.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٧٩.

(٣) نور الثقلين: ج٥ ص٤٩٠.

۞ قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ❖ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(س) لماذا الجمع مع الأولين؟

(ج) ١- إن المشركين كانوا يستبعدون البعث، وبالذات الأولين الذين اضمحلت أبدانهم وتبدّدت أوصالهم، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ❖ أَو آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾[1].

لهذا جاءت الآية المباركة لتؤكد بأن الجمع سيكون لجميع المخلوقات، الأولين منهم والآخرين.

٢- بما أن يوم القيامة هو يوم الفصل والقضاء بين الخلق، فلابدّ أن يكون إصدار الحكم مع حضور جميع الأطراف ولا يجوز القضاء على الغائب، فلذا قال تعالى: ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾[2].

وأما قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون﴾ يشير إلى أنهم كانوا يدفعون الحقوق الإلهية عن أنفسهم بضروب الحيل والكيد، ولكن يوم القيامة لا يملكون سبيلاً لذلك، ولذا في قوله هذا نهاية التخجيل والتقريع والعذاب الروحي لهم، لهذا عقبه بقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُون ❖ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ❖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ وَيْلٌ

---

(١) الواقعة: ٤٨-٤٩.

(٢) من هدى القرآن: ص٢٣٣.

(٣) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٨١.

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(س) لماذا ذكرت الآيات الظلال والعيون والفواكه ولم تذكر غيرها من نعم الجنة؟

(ج) إن أول ما يفكر به الإنسان، فيما إذا أراد الانتقال إلى مكان جديد، هو السكن المناسب أولاً، ثم يفكر في مشربه ومأكله، رب العزة تبارك وتعالى بين في الآية المباركة بأن المتقين الذين ابتعدوا عن الشرك والمعاصي ليسوا في ظل واحد فقط بل في ظلال كثيرة، أهمها ظل رحمته ورضوانه ولهذا قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾، ثم هناك عيون وأنهار وفواكه مما يشتهون، تقدم لهم جزاء بما كانوا يحسنون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ والمقصود منه أن يذكر الكفار ما فاتهم وسيفوتهم من النعم العظيمة، ليعلموا لو أنهم يكونوا من المتقين المحسنين سيفوزوا بمثل هذه الخيرات، وإن لم يفعلوا فويل لهم[1].

(س) هل أن نعم الجنة محصورة في الأكل والشرب فقط، لكي تقول الآية ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

(ج) إن الأكل والشرب كناية عن مطلق التنعيم بنعم الجنة والتصرف فيها وإن لم يكن بالأكل والشرب، وهو شائع كما يطلق أكل المال على مطلق التصرف فيه[2].

۞ قال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ❖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ❖ فَبِأَيِّ

---

(١) الميزان: ج٢٩ ص١٥٥.

(٢) الميزان: ج٢٩ ص١٥٥.

حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ .

(س) ما المراد من قوله تعالى : ﴿كُلُوا وتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾؟

(ج) الخطاب من قبيل القول : إفعل ما شئت فإنه لا ينفعك . وهذا النوع من الأمر إياس للمخاطب أن ينتفع بما يأتي من الفعل للحصول على ما يريده في المستقبل ، إن المجرمين لا يمكن لهم أن يدفعوا عن أنفسهم عذاب الآخرة ويحصلوا على حياة طيبة وذلك بسبب مسيرتهم الخاطئة المحصورة بالأكل والشرب ، فليتمتعوا فليس يدفع عنهم شيئاً إن جزاء المجرم المكذب بيوم الفصل ليس إلا النار[١] .

(س) قال أغلب المفسرين : إن المراد من الركوع في قوله تعالى : ﴿وإذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ هي الصلاة ، فلماذا ذكر الركوع بالذات دون قسم آخر من أقسام الصلاة؟

(ج) ١- إنه ذُكر كناية عن الصلاة ، لأن الركوع أبرز ما فيها ، ولذلك تسمى وحدات الصلاة بالركعات ولم تذكر بالسجدات أو غير ذلك .

٢- إن الصلاة هي مظهر العبودية لله عز وجل والركوع منها رمز الخضوع والتسليم له بصورة كاملة ، ورفضه يستلزم الويل للمكذبين .

❁ **قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ .**

(س) قيل إن المراد من الحديث في الآية المباركة هو القرآن ، فهل يمكن للإنسان أن يأخذ بكتاب غير القرآن لينتفع به؟

(ج) ١- القرآن الكريم معجزة إلهية وضع بين يدي الخلق ليهتدوا به إلى طريق الخير والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة ، ولا يمكن للإنسان أن يعتمد على أحاديث

---

(١) المصدر السابق .

المخلوقين في الحصول على تمنياته إذ أثبتت عجزها وفشلها في تحقيق ذلك، حيث إن الخالق الذي خلق الإنسان والكل يعترف به ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1]، هو الذي يعرف ما يصلح الإنسان وما يفسده، وهو أعرف به من نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2].

٢- إن أحاديث المخلوقين لا تصل إلى مستوى حديث الخالق في الصدع بالحق واشتماله عليه ولا في بيانه وهدايته، وكيف يرتفع حديث المخلوق إلى صحة حديث الخالق جل وعلا[3].

---

(١) الزخرف: ٨٧.

(٢) ق: ١٧.

(٣) من هدى القرآن: ج١٧ ص٢٣٩.

مصادر البحث

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣- تفسير الميزان: للعلامة الطباطبائي رحمه الله.

٤- التفسير الكبير: للفخر الرازي.

٥- تفسير الأمثل: مكارم الشيرازي

٦- تفسير الفرقان: الشيخ الدكتور محمد الصادقي.

٧- من هدي القرآن: للعلامة السيد محمد تقي المدرسي.

٨- تقريب القرآن: آية الله السيد محمد الشيرازي قدس سره.

٩- مجمع البيان: للطبرسي.

١٠- التبيان: للطوسي.

١١- نور الثقلين: للحويزي.

١٢- الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي.

١٣- الكشاف: للزمخشري.

١٤- تفسير القمي: للقمي.

١٥- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي.

١٦- بحار الأنوار: للمجلسي.

١٧- مفردات الراغب: للأصفهاني.

١٨- روح البيان: لإسماعيل حقي.

١٩- مسائل الرازي: الرازي.

٢٠- مفاتيح الجنان: للشيخ عباس القمي.

٢١- المنجد.

٢٢- ميزان الحكمة: الري شهري.

٢٣- في ظلال القرآن: سيد قطب.

٢٤- تفسير الصافي: الكاشاني.

٢٥- الكافي: الكليني.

٢٦- وسائل الشيعة: الحر العاملي.

٢٧- تفسير البرهان: البحراني.

الفهرس

تمّ بفضل الله ومنّه بتاريخ

١٢ جمادي الأول ١٤٢٥هجرية

٢٠٠٤/٧/١ ميلادية

دمشق - بجوار أخت الإمام الحسين عليه السلام السيدة زينب الكبرى

(عليها وعلى آبائها أفضل الصلاة والسلام)